الفصل الأول

خلفيات تاريخية

obeikandl.com

المبحث الأول

الشرق الأوسط

الشرق الأوسط:

لم تعرف الكرة الأرضية، مكاناً أكثر حيوية، وأخطر أهمية من الشرق الأوسط.[1] فهو يمثل موقعاً محورياً للعالم في السلم والحرب معاً.[2] ويعتبر السيد/ هالفورد ماكيندر صاحب نظرية من أهم النظريات الجيوبوليتيكية التي خلاصتها: "أن الشرق الأوسط كما يسمي الآن هو المنطقة التي تربط بين قلبي الأرض الشمالي والجنوبي."[3] والشرق الأوسط يطل على بحر قزوين، والبحر الأسود، والبحر الأبيض المتوسط، والبحر الأحمر، وبحر العرب، والخليج العربي، والمحيط الهندي ويتحكم في المعابر الدولية مثل قناة السويس، ومضائق البسفور، والدردنيل، وباب المندب وهرمز. وهذه الخصوصية جعلت الشرق الأوسط جزءاً أساسياً في السياسة الدولية.[4] ويسيطر الشرق الأوسط على أجزاء أساسية من حركة المواصلات العالمية والمعبر الوحيد إلى الشرق الأقصى المجال الحيوي لأوربا الاستعمارية.[5] ولم تظهر حضارة في العالم لم تكن مدينة في مكتسباتها لرواد الحضارة البشرية الذين ظهروا وأبدعوا في أصقاع شتى من الشرق الأوسط.[6]

---

(1) ف. ف بارتولد: **دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى**، ترجمة عزيز حداد، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، 1973، ص11.

(2) خالد الحسن: "**السلام في الشرق الأوسط**"، سلسلة دراسات صامد رقم 22، دار الكرمل، الطبعة الثانية، عمان، 1986، ص15.

(3) د. ممدوح مصطفي منصور: **الصراع الأمريكي السوفيتى في الشرق الأوسط**، مدبولى، 1995، ص50.

(4) خالد الحسن: "**السلام في الشرق الأوسط**"، ص15.

(5) د. محمود عباس "أبومازن": **الوجه الآخر**، الطبعة الأولى، دار بن رشد للنشر، 1984، ص218. وأنظر كذلك د. جمال حمدان: **استراتيجية الاستعمار والتحرير**، دار الشروق، القاهرة، بيروت، 1973، ص8.

(6) د. كمال مظهر أحمد: "**أضواء على قضايا دولية**"، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، سلسلة دراسات رقم 160، 1972، ص10.

نشأة مصطلح الشرق الأوسط:

لم يكن لعلماء الجغرافيا دور في صياغة مصطلح الشرق الأوسط الذي كان على الأرجح من وضع أميرال البحرية البريطانية ماهان (Mahan) وذلك في عام 1902 عندما كان يطالب حكومته بوضع استراتيجية مضادة للنشاط الروسي في إيران، والمشاريع الأخرى في اتجاه بغداد داعياً هذه المناطق بالشرق الأوسط. وفي العام نفسه ظهر هذا التعبير في صحيفة التايمز الصادرة في اكتوبر، حيث استعمله مراسل الصحيفة في طهران ليشير إلى المناطق الشمالية والغربية لحدود الإمبراطورية البريطانية في الهند.[1]

إن مصطلح الشرق الأوسط لا يشير إلى منطقة جغرافية متعارف عليها، بل إنه مصطلح سياسي استراتيجي في نشأته الأوربية وفي استخدامه.[2] وحتى بداية الحرب العالمية الأولى كان المفهوم من معنى تسمية الشرق الأدنى هو القسم الغربي من آسيا، والقسم الشمالي الشرقي من أفريقيا وبالتحديد: "مصر والعراق وسوريا ولبنان والأردن وشبه الجزيرة العربية مع أقطار وجزر الخليج العربي وتركيا وقبرص."[3] أما الشرق الأوسط فهو كل هذه الدول مضافاً إليها: إيران وأفغانستان. وعلى هذا التحديد يكون الشرق الأوسط واحداً من أهم المناطق الحضارية والاقتصادية والاستراتيجية والسياسية في العالم منذ أقدم العصور."[4]

الصراع في الشرق الأوسط:

كانت اليونان فاتحته حيث شمل الاستعمار الإغريقي غرب آسيا الصغرى، وأجزاء من إيطاليا وإيبيريا، وشمال أفريقيا وليبيا ومصر والشام والعراق. واحتل الإسكندر المقدوني فلسطين في عام 331 ق. م. ثم ابتلعت الإمبراطورية الرومانية الإمبراطورية الإغريقية كاملة في الشرق الأوسط وامتدت في البحر وشملت كل أوربا جنوب الدانوب وغرب الراين، وضمت إنجلترا ووصلت بوحدة البحر

(1) معين حداد: **الشرق الأوسط**، المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، 1996، ص18 – 19.
(2) د. ممدوح مصطفي منصور: **الصراع الأمريكي السوفيتى في الشرق الأوسط**، ص43.
(3) د. كمال مظهر أحمد: "**أضواء على قضايا دولية**"، ص10.
(4) المصدر السابق، ص10.

الأبيض المتوسط إلى منتهاها وجعلت منه بحيرة رومانية.[1] واستولى القائد الروماني بمبيوس على القدس عام 63ق.م[2]، واستمرت الفترة الرومانية حتى 324م. ثم جاءت الفترة البيزنطية التي استمرت حتى 636م. ولم تتخلص المنطقة من هذا الصراع المتواتر إلا بظهور الإسلام الذي وحد المنطقة في دولة واحدة.[3] وتعرضت هذه الإمبراطورية إلى حرب استعمارية تمثلت في ثماني موجات رئيسية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، عرفت بالحروب الصليبية.[4]

ثم جاء التتار والمغول والأتراك، وكان القرن السادس عشر قرن السيطرة للبرتغال وأسبانيا، والقرن السابع عشر قرن هولندا، وانقضت بريطانيا على مستعمرات هولندا بمثل ما انقضت هولندا على مستعمرات البرتغال وأسبانيا من قبل. وأصبح القرن التاسع عشر هو قرن بريطانيا العظمى. وراحت بريطانيا أعتى إمبراطورية عرفها التاريخ التي ملكت الشرق الأوسط، تخطط لتفوز بأكبر نصيب في تركة الإمبراطورية العثمانية التي عرفت "بالمسألة الشرقية". وتعاظم الصراع على اقتسام ممتلكات الدولة العثمانية التي دخلت دور الاحتضار. وكثفت ألمانيا اتصالاتها مع السلطان العثماني، وقدمت له معونة عسكرية في عام 1835 ضد محمد علي والي مصر. "وكذلك مشروع القائد الألماني "مولتكه" لجعل فلسطين مستعمرة ألمانية ثم بدء بإنشاء مستعمرات زراعية ألمانية منذ 1870 في حيفا ويافا والقدس. وفي عام 1870 قرر مؤتمر برلين منح النفوذ الألماني دعماً حاسماً في الشرق الأوسط.[5] وقد اقترح "بسمارك" إقامة دولة يهودية على جانبي نهر الفرات لحماية الطريق التجاري الهندي، لتجاوز

---

(1) د. جمال حمدان: **استراتيجية الاستعمار والتحرير**، ص20.

(2) وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني: **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، بيروت ص20 – 22.

(3) خالد الحسن: "**السلام في الشرق الأوسط**"، ص16.

(4) رجاء جارودي: **فلسطين أرض الرسالات**، ترجمة الدكتور عبدالصبور شاهين، دار التراث، القاهرة، 1986، ص204.

(5) د. رفيق شاكر النتشه: **الاستعمار وفلسطين**، دار الجليل، عمان، 1984، ص123 وكذلك أنظر خالد القشطيني: **تكوين الصهيونية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1986، ص178. وكذلك د. رفيق النتشه: **السلطان عبدالحميد الثاني وفلسطين**، الطبعة الأولى، دار الكرمل، عمان، 1984، ص76.

الاحتكار البريطاني لممرات السويس وشرق البحر المتوسط التجارية الموصلة للخليج العربي[1] "وكانت خطة هيئة أركان الحرب الألمانية تقوم على أساس طرد إنجلترا من الأراضي العربية الآسيوية التي تسيطر عليها، وحرمانها التزود بالمازوت من جنوب العراق ليكون ذلك سبيلاً إلى شل حركة أسطولها، ثم إغلاق قناة السويس وباب المندب."[2] كان بسمارك يفكر في توطين اليهود في المنطقة المحاذية لخط بغداد برلين.[3]

الجبهة الاستعمارية الموحدة:

في عام 1907 شكلت كل من: بريطانيا، وإيطاليا، وبلجيكا، وهولندا، والبرتغال، وأسبانيا جبهة استعمارية موحدة من خبراء هذه الدول التي لها مصالح في العالم القديم "وكان من بين أعضاء هذه اللجنة، مؤرخون وعلماء اجتماعيون، وجغرافيون، واقتصاديون ونفطيون، وزراعيون وخبراء في شئون الاستعمار."[4]

يقول تقرير اللجنة التي سميت بإسم رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الوقت "كامبل بنرمان":

> "إن الخطر يكمن في هذه المنطقة بالذات، وبصورة خاصة في تحريرها، وتثقيف شعوبها، وتطويرها، وتوحيد اتجاهاتها، لذلك، فعلى الدول ذات المصلحة أن تعمل على استمرار تأخرها وتجزئتها، وإبقاء شعوبها مفككة جاهلة متناحرة. ومحاربة ارتباطها بأي نوع من أنواع الارتباط، وإيجاد الوسائل القوية لفصلها بعضاً عن بعض. وكوسيلة أساسية مستعجلة، ولدرء الخطر، أوصى التقرير بضرورة العمل على فصل الجزء الأفريقي من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوي.

---

(1) خالد الحسن: **فلسطين وأوربا والحركة الصهيونية**، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت، 1974، ص152. وكذلك أنظر: حبيب قهوجي: **استراتيجية الاستيطان**، منشورات الطلائع، دمشق، 1978، ص50.

(2) بيير ديسيريا: **من السويس إلى العقبة**، ترجمة يوسف مراحم، الدار العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1974، ص72. أنظر كذلك د.رفيق النتشه: **الاستعمار وفلسطين**، ص130.

(3) بديعة أمين: **المشكلة اليهودية**، دار الطليعة، الطبعة الأولى، 1974، ص152.

(4) د. محمود عباس "أبومازن": **الوجه الآخر**، ص222.

واقترح لذلك: إقامة حاجز بشري قوي وغريب بحيث يشكل وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار، وعدوة لسكان المنطقة."[1]

بهذا الوضوح أعلنت الجبهة الاستعمارية الموحدة رأيها، وأعلنت عن مخططها وعن رأيها في أهل المنطقة. "إن البلاد العربية كلها، كانت ولا تزال وستبقي جزءاً أساسياً في مخططات السياسة الدولية التي يرسمها الكبار في استراتيجية الصراع القائم بينهم في العالم."[2] وتأكيداً على أهمية المنطقة العربية الواقعة على الشواطئ الجنوبية الشرقية لحوض البحر الأبيض المتوسط، جاء في توصيات مؤتمر لندن عام 1907 ما يلي:

"إن البحر المتوسط، الشريان الحيوي للاستعمار، والجسر الذي يربط الشرق بالغرب، وملتقى طرق العالم، ويكمن الخطر الذي يهدد العالم في هذا البحر، ففي حوضه مهد الأديان، والحضارات، وعلى شواطئه الجنوبية الشرقية، شعب واحد، له من وحدة تاريخه، ودينه ولغته، وآماله، كل مقومات التجمع والترابط والاتحاد. وتتوافر له في ثرواته الطبيعية، وكثرة تناسله، كل أسباب القوة والتحرر والنهوض. ويكمن الخطر على كيان الإمبراطورية الاستعمارية في تحرير هذه المنطقة."[3]

فلسطين محل الاستهداف في الشرق الأوسط:

نشر الدكتور توماس كلارك كتاباً عام 1861 يحمل عنوان: الهند وفلسطين يقول فيه: "فإذا كانت إنجلترا تعتمد من جديد على تجارتها، بوصفها حجر الزاوية في عظمتها، وإذا كان أقرب مجرى

---

(1) **وثائق فلسطين**:دار الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، 1987، ص81 وأنظر كذلك: د. محمود عباس: **الوجه الآخر**، ص222، وأنظر كذلك: أميل توما: **جذور القضية الفلسطينية**، دار الجليل، دمشق، 1981، ص1 – 16 وكذلك أنظر: نبيل هادى: **الشرق الأوسط والتوازن الاستراتيجي**، دار الفارابي، بيروت، ص81. وأنظر كذلك نصر شمالى: **افلاس النظرية الصهيونية**، الطبعة الأولى، منشورات فلسطين المحتلة، مطابع الكرمل الحديثة، بيروت، 1981، ص100 – 101.

(2) خالد الحسن: **"قراءة نقدية لثلاث مبادرات"**، سلسلة صامد الاقتصادي 16، منشورات دار الكرمل، عمان، 1986، ص7 – 8.

(3) د. رفيق شاكر النتشه، **الاستعمار وفلسطين**، ص193. وأنظر كذلك: أنيس صايغ: **الهاشميون وقضية فلسطين**، منشورات دار المحرر والمكتبة العصرية، بيروت، 1966، ص8.

لهذه التجارة وأفضله يمر عبر محور القارات الثلاثة الكبرى، وإذا كان اليهود يؤلفون شعباً تجارياً في الجوهر، ألا يكون من الطبيعي جداً القيام بغرسهم على مقربة من تلك الطريق العظيم للتجارة القديمة."[1] ويقول رئيس الوزراء البريطاني "كامبل بنرمان" معبراً عن نفس المعني الذي سبقه إليه توماس كلارك بما يقرب من نصف قرن: "إن إقامة حاجز بشري قوى وغريب على الجسر الذي يربط أوربا بالعالم القديم ويربطهما معاً بالبحر الأبيض المتوسط هو مطلب يجب أن يكون هادياً لنا باستمرار."[2] ويؤكد لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا، وهو أحد الذين أوصلوا الإمبراطورية البريطانية إلى أوجها، خلال الحرب العالمية الأولى، أن الغاية هي الموقع الفريد الذي تتمتع به فلسطين ويضيف: "ثمة سبب آخر حدا بإنجلترا إلى الاهتمام ببعث عظمة فلسطين، وإحياء المجد القديم لأرض كنعان، كانت فلسطين قبل كل شئ البوابة الغربية الطبيعية لآسيا."[3] فقد أتيح لها "أن تقع على الطريق بين مركزي ثقل الممتلكات البريطانية، أحد هذين المركزين يشمل أراضي المحيط الأطلسي الشمالي التي تقدر مساحتها بنحو 4.130.000 ميل مربع. بينما المركز الآخر يشمل أراضي المحيط الهندي التي تبلغ مساحتها 8.130.000 ميل مربع."[4] ويعتبر طريق البحر الأبيض المتوسط أهم الطرق وأقصرها كذلك، حيث يبلغ طوله 1900 ميل. ويشكل الساحل الفلسطيني الذي يمتد من رفح حتى رأس الناقورة من أشهر الممرات الحربية عبر التاريخ. "فمصر وفلسطين تقعان في الركن الجيواستراتيجي الحرج للبحر الأبيض المتوسط، وهو الركن الجنوبي الشرقي، فالواضح أن بندول الأهمية يتأرجح بين عكا وأبوقير."[5] أي أنه وعلى امتداد العصور "كان لا بد أن تكتمل الزاوية الجنوبية الشرقية للبحر الأبيض المتوسط في إطار سياسي واحد،... ضرورة جغرافيا وعبرة تاريخ."[6]

---

(1) د. صادق جلال العظم: **المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية**، الطبعة الأولى، دار العودة، بيروت، بدون تاريخ، ص67– 68.

(2) محمد حسنين هيكل: **المفاوضات السرية، الكتاب الأول**، دار الشروق، القاهرة، 1996، ص110.

(3) إيفان دونيف: **الصهيونية بلا قناع**، تعريب فرات الجوهرى، دار الفارابى، بيروت، 1974، ص8.

(4) فيفيلد برس: **الجيوبوليتكا**، الجزء الثاني، القاهرة، الكرنك، الأف كتاب، بدون تاريخ، ص119. وأنظر كذلك: د. محمود توفيق محمود: **الجغرافيا السياسية لإسرائيل**، معهد البحث والدراسات العربية، القاهرة، 1970، ص27.

(5) المصدر السابق، ص119.

(6) محمد حسنين هيكل: **المفاوضات السرية، الكتاب الأول**، ص26.

إن هذه الرؤيا الواضحة للمصالح الحيوية الاستعمارية في الشرق الأوسط لم تكن قاصرة فقط على رؤيا الإمبراطورية البريطانية ومجهوداتها، بل شملت أطرافاً أخرى غيرها. كانت فرنسا تسعى إلى نفس الغرض. وكان نابليون وهو يتراجع مهزوماً عن أسوار عكا في عام 1799 يقول: "لو فتحت عكا لفتحت الشرق."[1] وانتهت أحلام ألمانيا عندما هزم هتلر في العلمين في مصر. ولطالما ألقى الكرملين بأبصاره إلى الشرق الأوسط وموقعه الاستراتيجي وإلى ثرواته البترولية الضخمة. وكان التوسع نحو الموانئ الدافئة على البحر الأبيض المتوسط، والخليج الفارسي، هدف بطرس الأكبر وكاترين الثانية، وحلفائهما.[2]

النظرة الأمريكية للشرق الأوسط:

رأت الولايات المتحدة الأمريكية الأهمية البالغة للشرق الأوسط في موارده النفطية الهائلة، ومركزه الجغرافي على خطوط المواصلات بين الغرب والشرق. وقد جاء إعلان الرئيس الأمريكي أيزنهاور عن سياسته الجديدة في الشرق الأوسط في صورة رسالة وجهها إلى الكونغرس الأمريكي في الخامس من يناير 1957.[3] واستهدفت تلك السياسة الجديدة، إحلال نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية محل نفوذ كل من بريطانيا وفرنسا في المنطقة. وكانت الدلائل تشير إلى أن هذا القرن سوف يكون أمريكياً بمقدار ما كان القرن الثامن عشر فرنسياً، وبمقدار ما كان القرن التاسع عشر بريطانياً.[4] ويقول وليم كوانت مساعد هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية الأسبق: "وعليه فإن الشرق الأوسط منطقة يتهدد فيها الأمن القومي الأمريكي، وتتأثر مباشرة مصالحنا الاقتصادية، وتتعرض كافة التزاماتنا الأساسية للخطر."[5] واعتبر ضمان استمرار تزويد النفط من منطقة الخليج إلى أوربا وشمال أمريكا واليابان، مصلحة استراتيجية من الدرجة الأولى للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق

---

(1) د. رفيق شاكر النتشه: **الاستعمار وفلسطين**، ص10.

(2) الفريد ليلنتال: **هكذا يضيع الشرق الأوسط**، ص23 – 24.

(3) د. ممدوح مصطفي منصور: **الصراع الأمريكي السوفيتى في الشرق الأوسط**، ص219.

(4) محمد حسنين هيكل: **الانفجار 1967**، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 1990، ص33.

(5) وليم كوانت: **عقد من القرارات**، ترجمة عبدالكريم ناصيف، الطبعة الأولى، مكتب الخدمات الطباعية، دمشق، 1984، ص20.

الأوسط.[1] بل إن الأمر تعدى ذلك في النظرة إلى النفط العربي حيث أن هنري كيسنجر يعتبر: "أن النفط العربي لا يخص العرب، إنه للغرب الصناعي كله، لذا لا يحق للعرب التصرف به."[2]

في محاضرة للدكتور "ناحوم جولدمان" رئيس المؤتمر اليهودي العالمي في مونتريال في كندا عام 1947 يقول: "لم يختر اليهود فلسطين لمعناها التوراتي والديني رغم أهميته بالنسبة لهم... بل لأن فلسطين هي ملتقى الطرق، أوربا، آسيا، أفريقيا، ولأن فلسطين في الواقع نقطة ارتكاز حقيقية لكل قوى العالم. ولأنها المركز الاستراتيجي العسكري للسيطرة على العالم."[3] ويقول المؤرخ اليهودي ناحوم جولدمان: "لقد قام المسيحيون الإنجليز بتعليم المبادئ التي تقوم عليها القومية اليهودية. فقد ظلت الصهيونية ثلاثة قرون فكرة دينية وسياسية، يتوارثها عظماء المسيحيين واليهود في إنجلترا جيلاً بعد جيل."[4] ويبدو أن هذه الفكرة أصبحت حتمية واقعة لا محالة وتشرشل يؤكد ذلك بقوله: "إذا أتيح لنا في حياتنا وهو ما سيقع حتماً أن نشهد مولد دولة يهودية... فإننا سنشهد وقوع حادث يتفق مع المصالح الحيوية للإمبراطورية البريطانية."[5] وفي تصريح للرئيس الأمريكي روزفلت صدر في واشنطن بأنه سعيد لأن أبواب فلسطين مفتوحة اليوم أمام اللاجئين اليهود.[6]

بهذه الأهمية، ظل الشرق الأوسط في مخططات الدول الاستعمارية وتقول المؤرخة "بربارة توخمان": "بعد نابليون أصبح مسلماً به أنه كلما تصارعت الدول الكبرى في الشرق الأوسط، يظهر من يقترح إحياء إسرائيل، كما أصبح من المسلم به أيضاً أن ينغمس هذه الشخص في حلم سعيد

---

(1) الوف هرابين: **"حتمية الاختيار"**، سلسلة دراسات صامد الاقتصادي "7"، دار الكرمل للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، عمان، 1985، ص29.

(2) نبيل هادي: **الشرق الأوسط والتوازن الاستراتيجي**، ص40.

(3) شاكر اليساوى: **الصهيونية في المنظور الثورى**، دار العلم للملايين، دمشق، 1980، ص5. وأنظر كذلك: د. عبدالرحيم أحمد حسين: **النشاط الصهيوني**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1984، ص19. وأنظر كذلك: أميل توما: **الصهيونية المعاصرة**، الدار العربية للنشر والتوزيع، عمان، 1982، ص176.

(4) د. محمود عباس: **قنطرة الشر**، دار الكرمل، عمان، 1984، ص20. (نقلاً عن: ريجينا الشريف: **الصهيونية والعنصرية**، المجلد الثاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص26).

(5) د. أحمد سوسه: **العرب واليهود في التاريخ**، العربي للاعلام والنشر، دمشق، 1957، ص584.

(6) **وثائق فلسطين (1839 – 1987)**، دار الثقافة، م. ت. ف، 1987، ص168.

ليس حول كسب منطقة نفوذ في بقعة استراتيجية فحسب، بل أيضاً حول اجتذاب النفوذ والثروات المزعومة ليهود العالم إلى جانبه."[1]

لقد بينا بإيجاز أهمية الشرق الأوسط كمعبر وملتقى طرق استراتيجي، وأنه يدخل في السياسة المحورية للكون. وظل محط أنظار الدول الكبرى التي استهدفته، واستخدمت اليهود ضمن سياق مصالحها الإمبراطورية، وغاياتها الاستراتيجية، مما يتطلب أن نتعرف في هذا الفصل على اليهود، وعلى علاقتهم بالشرق الأوسط وتاريخهم فيه.

(1) د. صادق جلال العظم: **الصهيونية والصراع الطبقي**، دار العودة، الطبعة الأولى، بيروت، 1975، ص58 –59.

obeikandl.com

المبحث الثاني

اليهود

يعتبر اليهود من الناحية الجغرافية هم جيران العرب الأقربين، ويعتبرون أيضاً من أقرب الشعوب نسباً إليهم.[1] واللغة العربية واللغة العبرانية، لغتان ساميتان من أصل واحد. والمرجح هو أن جزيرة العرب هي مهد الجنس السامي، وقد أنشأت الشعوب التي نزحت فيما بعد إلى الهلال الخصيب والتي أصبحت مع تعاقب الأجيال أمم البابليين والآشوريين والفينيقيين والعبرانيين. "وفي تربة هذه الجزيرة نشأت العناصر الأولية للديانة اليهودية."[2]، ومصطلح "عبراني" ذو دلالات عرقية، وطبقية، وحضارية. والعبرانيون كتلة بشرية يعود أصلها إلى الجزيرة العربية، استقرت في منطقة الهلال الخصيب وفلسطين.[3]

تاريخ العبرانيين، وبنى إسرائيل واليهود:

دخل العبرانيون أرض كنعان نتيجة لثلاث موجات من الهجرة، وجاءت موجة الهجرة الأولى من بلاد الرافدين في القرن الثامن عشر ق. م. وكانت معاصرة لانتشار الهكسوس والحوريين في الساحل الشرقي للبحر المتوسط. وموجة الهجرة الثانية جاءت في القرن الرابع عشر ق. م.، وهاتان الهجرتان، الأولى والثانية تمتدان من هجرة إبراهيم عليه السلام من بلاد الرافدين وحتى هجرة يوسف عليه السلام إلى مصر ورحيل العبرانيين عنها. أما الهجرة الثالثة فكانت تتمثل في خروج بنى إسرائيل بقيادة موسى عليه السلام ومن بعده يوشع بن نون في عام 1224 – 1215 ق. م. من مصر.

---

(1) د. فيليب حتى: **تاريخ العرب**، دار غندور للطباعة والنشر، الطبعة التاسعة، بيروت، 1986، ص70.

(2) المرجع السابق، ص29.

(3) عبدالوهاب المسيري: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، المجلد الرابع، دار الشروق، القاهرة، 1999، ص80.

والرقعة الجغرافية التي تمركز فيها العبرانيون هي أرض كنعان، وهي نقطة استراتيجية، ذات أهمية قصوى، وتعد معبراً بين التشكيلات الحضارية المختلفة في الشرق الأدنى القديم الذي جعلها وجعل سكانها عرضة للهجرات والغزوات باستمرار.[1]

وتاريخ العبرانيين كما وجد في آثار "نارعم سن" على حافة الهلال الخصيب لبلاد ما بين النهرين يبدأ بعشيرة عرفت تحت اسم "عبرو" نسبة إلى جدها الأعلى عابر. "وأول ظهور في التاريخ لهذه العشيرة كان في مدينة "أور" على ضفة الفرات الأولى وفي السهل الفيضى الذي كونته رواسب النهرين في الجنوب، وسميت أرض البحر."[2] هاجر فريق من هذه العشيرة حاملاً لقب "داميق – ايليشيو" وهي كلمة بابلية معناها خليل الله إلى حافة الهلال الخصيب، وهذا ما توضحه الألواح البابلية، أما ما توضحه التوراة في سفر التكوين فتقول عنه أنه رئيس عشيرة حاملاً لقب "العبراني" واسم "ابرام" وتنتسب هذه العشيرة إلى "عابر" وهو الذي ينتهي إليه نسب خليل الله إبراهيم، وهؤلاء هم العبريون.[3] أما وطن إبراهيم الأصلي فهو "أرام النهرين" أي منطقة حاران (حران الحالية) حيث كانت القبائل الآرامية قد استقرت في منابع نهر البليخ بعد هجرتها من الجزيرة العربية ثم نزحت فروع هذه القبائل إلى جنوب العراق فكان إبراهيم الخليل من ذريتها.[4] وتؤكد التوراة ذلك: "وهذه مواليد تارح: ولد تارح ابرام وناحور وهاران. ومات هاران قبل تارح أبيه في أرض ميلاده في أور الكلدانيين... وأخذ تارح أبرام إبنه ولوطاً بن هاران وسارى كنته امرأة ابرام فخرجوا معاً من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان. فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك."[5] وفي الإصحاح الثاني عشر تقول التوراة: "وقال الرب لأبرام إذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أُريك فأجعلك أمة

---

(1) المرجع السابق، ص80. أنظر كذلك: د. حسين شريف: **من العهد القديم إلى قيام دولة إسرائيل**، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995، ص16. وأنظر كذلك جودت السعد: **الشخصية اليهودية عبر التاريخ**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1985، ص27 – 28.

(2) أبكار السقاف: **إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة**، الطبعة الثانية، القاهرة، 1997، ص36.

(3) المرجع السابق، ص36.

(4) د. أحمد سوسه: **العرب واليهود في التاريخ**، ص251.

(5) **سفر التكوين**: الاصحاح الحادى عشر، الآيات، 27، 28، 31.

عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركه... واختار ابرام في الأرض مكان شكيم... وكان الكنعانيون في الأرض."[1] وتقول التوراة: "وتغرب ابراهيم في أرض الفلسطينيين أياماً كثيرة."[2] ، "وماتت سارای في قرية أربع التي هي حبرون في أرض كنعان... وكلم بنى حث قائلاً: "أنا غريب ونزيل عندكم أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي."[3] وإبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء حيث يقول عنه عز وجل في كتابه الكريم: "وما جعل عليكم في الدين من حرج، ملة أبيكم إبراهيم، هو سماكم المسلمين من قبل."[4] واتفق المؤرخون على أن مولد إبراهيم كان في العراق في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وكانت لغته هي اللغة الأم التي يتكلم بها أبناء الجزيرة العربية في أنحاء متفرقة منها قبل أن تتشعب هذه اللغة إلى اللغات الكنعانية، والآرامية، والعبرية والعربية. وهكذا كانت لغة القبائل الآرامية التي ينتمى إليها إبراهيم هي نفس اللغة التي يتكلم بها الكنعانيون. ومن المرجح أن حفيده يعقوب كان يتكلم نفس اللغة الكنعانية الآرامية، وهو آرامي مثل إبراهيم بحكم النسب، ومن المرجح كذلك أن أبناء يعقوب كانوا يتكلمون نفس اللغة الكنعانية الآرامية، وهؤلاء جميعاً كانوا يدينون بدين إبراهيم عليه السلام.[5]

ويربط اليهود نسبهم عادة بإبراهيم الخليل. "وفي عام 1974 ق. م رزق إبراهيم بولده إسماعيل من زوجته هاجر، وإسماعيل هو جد العرب العدنانية وبعد مولد إسماعيل بنحو أربعة عشر سنة، رزق إبراهيم عليه السلام من زوجته سارة بولده اسحق، وهو والد يعقوب الذي لقب

---

(1) **سفر التكوين**: الاصحاح الثاني عشر، الآيات، 1، 2، 6.

(2) **سفر التكوين**: الاصحاح الحادي والعشرون، آية 24.

وللمزيد أنظر: د. عبدالوهاب المسيري: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ص112. وكذلك أنظر: صابر طعيمة: **التاريخ اليهودي العام**، الجزء الأول، دار الجليل، بيروت، 1991، ص5. وما بعدها. وأنظر كذلك: د. جورجى كنعان: **وثيقة الصهيونية في العهد القديم**، دار النهار للنشر، الطبعة الثانية، بيروت، 1982، ص29، وما بعدها.

(3) **سفر التكوين**: الاصحاح الثالث والعشرون، الآيات 2، 3، 4.

(4) **القرآن الكريم**: سورة الحج، الآية 17.

(5) أحمد سوسه: **العرب واليهود في التاريخ**، ص155.

بإسرائيل."[1] وإسرائيل بمعني عبدالله[2]، فإسرا بمعنى عبد، وإيل بمعنى الله. وتزوج يعقوب من ابنتي خاله "لابان" في العراق وهما "ليئة" و"راحيل"، وتزوج كذلك جاريتيهما: "زلفة" و"بلهة" وأنجب يعقوب من زوجته ليئة: راؤبين وشمعون ولاوى ويهودا ويساكر وزبولون، وظهرت النبوة في سبط لاوى في: موسى وهارون والياس واليسع. وفي سبط يهوذا ظهرت النبوة في: داوود وسليمان وزكريا ويحي وعيسي عليهم السلام. وانجب دان ونفتالي من زوجته "بلهة"، وجاد وأبشر من زوجته "زلفة"، ويوسف وبنيامين من زوجته راحيل. ومن سبط بنيامين ظهرت النبوة في: يونس عليه السلام. وأبناء يعقوب الاثنا عشر هم "الأسباط"، وغدا نسل يعقوب من أبنائه وحدهم هم "بنو إسرائيل."[3] وقد هاجر يعقوب عليه السلام هو وأهله الذين بلغ عددهم بضعة عشرات إلى مصر نحو عام 1656 ق. م بسبب القحط الذي نزل بفلسطين.[4] ومعظم الباحثين يقدرون عددهم ما بين 66 شخصاً إلى 70 شخصاً. وقد مكث أهل يعقوب وذريته من بعده في دلتا مصر أكثر من أربعة قرون متصلة، وتقول التوراة: "وأما إقامة بنى إسرائيل التي أقاموها في مصر 430 سنة."[5] ونصل إلى أن العبريين هم هم عشيرة إبراهيم التي حملت هذا الاسم. وأما بنو إسرائيل فهم أولاد يعقوب بن اسحق دون سائر العبريين ودون باقي أولاد إبراهيم من غير زوجته "سارة".

أما اليهود فينقسمون إلى قسمين رئيسيين: القسم الأول ينتسب إلى "يهوذا" رابع أبناء يعقوب، ثم شمل هذا الاسم نسل بنيامين الذي تعاون مع فرع "يهوذا" الذي نشأ منه بيت داوود، ونشأت منه بعد ذلك "مملكة يهوذا" التي كانت عاصمتها القدس والتي اجتاحها البابليون في 567 ق. م[6] والقسم الثاني: وهم الذين ينحدرون من قبائل "الخزر" المنغولية المنتمية إلى سلالة القبائل

---

(1) د. عبدالوهاب الكيالي: **تاريخ فلسطين الحديث**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة العاشرة، بيروت، 1990، ص14.

(2) عفيف طباره: **مع الأنبياء**، الطبعة السابعة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت، 1989، ص154.

(3) أبكار السقاف: **إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة**، ص37 – 38. وأنظر كذلك: عبدالوهاب الكيالي: **تاريخ فلسطين الحديث**، ص13 – 14. وكذلك أنظر: **سفر التكوين**: الاصحاح الثاني والثلاثون، وكذلك أنظر د. صبري جريس: **التراث اليهودي الصهيوني**، عالم الكتب، الطبعة الأولى، القاهرة، 1970، ص23.

(4) عبدالوهاب الكيالي: **تاريخ فلسطين الحديث**، ص13.

(5) **سفر الخروج**: الاصحاح الثاني عشر، آية 40.

(6) أبكار السقاف: **إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة**، ص38.

التركية التي سكنت جبال الأوزل شرقاً، ووسط أوربا غرباً، وشمال البحر الأسود جنوباً حيث أقامو مملكة ضمت كل تلك الأرجاء كانت من قبل وثنية ثم انقلبت يهودية عندما اعتنق "بولان" ملك الخزر الديانة اليهودية، وعاشت هذه المملكة الخزرية من نهاية القرن السابع الميلادي حتى نهاية القرن العاشر، وتراوح تعدادها بين ثمانية إلى عشرة ملايين يهودي.

وعندما هزم الروس هذه المملكة وضموها إلى الدولة الروسية أصبح الخزريون رعايا الدولة الروسية، ثم هزمت روسيا من جيرانها الغربيين توزعت سلالة الخزر التي تجنست بالجنسيات البولندية والرومانية والأوكرانية واللتوانية. ومن يهود هذه الدول نشأت الصهيونية التي لا تربطها بأبناء يعقوب أية صلة نسب.

الخروج من مصر:

بعد أن استمرت إقامة بنى إسرائيل في مصر هذه المدة الطويلة، انقلب فرعون مصر عليهم، وسامهم سوء العذاب، وأمر بذبح الذكور الذين يولدون من اليهود في ذلك العام، إلا أن الرضيع موسى نجا من الذبح. وتقول التوراة عن هذا الأمر: "وكلم ملك مصر قابلتى العبرانيات اللتين اسم إحداهما "شفرة" واسم الأخرى "فوعة" وقال حينما تولدان العبرانيات وتنظرانهن على الكراسى إذا كان ابناً فاقتلاه، وإذا كان بنتا فتحيا."[1] ولما كبر موسى اضطر إلى الخروج بقومه من مصر متجهاً إلى صحراء سيناء في طريقه إلى أرض كنعان، وتصف التوراة ذلك في سفر الخروج فتقول: "فاختار الرب موسى، نبياً وقائداً، وناداه قائلاً: أنا الله إله أبيك، وإله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب... أني قد رأيت مذلة شعبي... فنزلت لانقذهم من أيدى المصريين... واصعدهم إلى أرض جيدة وواسعة، إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً. إلى مكان الكنعانيين... فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر."[2]

(1) **سفر الخروج**، الاصحاح الأول، الآيات 15، 16.

(2) **سفر الخروج**، الاصحاح الثالث، الآية 6.

وفي صحراء سيناء حدث التيه، وارتد قوم موسى عن دينهم إلى عبادة العجل، ويقدر كثير من الباحثين أن الخروج تم في عام 1225 ق. م.[1] واستمر بنو إسرائيل في التيه لمدة أربعين سنة حتى يخرج جيل صلب شجاع. وصل اليهود إلى "مدين" في القسم الجنوبي من سيناء، ثم اتجهوا نحو فلسطين من ناحية بئر السبع، فوجدوا مقاومة كبيرة من السكان العرب، فاتجهوا من ناحية شرق الأردن، ووصلوا إلى جبل هور القريب من البتراء، وهناك مات ودفن موسى عليه السلام وتولى القيادة بعده خليفته "يوشع بن نون"، وكانت أريحا أول مدينة فلسطينية يدخلوها، وأعملوا فيها السيف وأحرقوها.[2]

وقد احتل اليهود بعد أريحا بعض أجزاء من المناطق الجبلية.[3] وامتدت فترة حكم "يوشع بن نون" 28 عاماً، وبعد موته تولى أمر اليهود كبار شيوخ قبائلهم، وهو ما يعرف بعصر القضاة ودام حكمهم حتى عام 1020 ق. م حين أصبح "شاؤول" ملكاً عليهم.[4] وقتل "شاؤول بن قيس" بعد ستة عشر عاماً وتولى الملك من بعده داوود عليه السلام.[5] ويبدأ بذلك ومنذ شاؤول عصر الملوك في بنى إسرائيل، وانتقالهم من حالة البداوة إلى حالة الاستقرار والتمدن والزراعة ولم تمتد حدود مملكته الصغيرة إلى أبعد من حدود منطقة قبيلته "بنيامين" والحق الفلسطينيون به هزيمة نكراء بجوار جبل "جلبوع"، وقتلوا ثلاثة من أولاده وجرحوا شاؤول نفسه بجراح بليغة فانتحر، وتولى "يوناثان" أكبر أبناء شاؤول لفترة قصيرة الحكم مكان أبيه، إلى أن "صموئيل" توج داوود ملكاً، وقتل يوناثان في المعركة مع الفلسطينيين.[6]

---

(1) د. صبري جريس: **التراث اليهودي الصهيوني**، عالم الكتب، القاهرة، 1970، ص26.

(2) **سفر يوشع**، الاصحاح السادس والسابع والثامن. وللمزيد أنظر أبكار السقاف: **إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة**، ص115. وكذلك أنظر: يوسف هيكل: **فلسطين قبل وبعد**، القاهرة، 1970، ص48. وكذلك أنظر: وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني: **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، ص20.

(3) يوسف هيكل: **فلسطين قبل وبعد**، ص48.

(4) وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني: **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، ص20.

(5) د. عبدالوهاب الكيالي: **تاريخ فلسطين الحديث**، ص14.

(6) عبدالوهاب المسيري: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ص174 – 175.

ممالك بنى إسرائيل في فلسطين:

أولاً: المملكة العبرانية المتحدة:

والمملكة المتحدة هي اتحاد القبائل التي حققها داود بعد أن سعى إليها شاؤول الذي أسس "مملكة إسرائيل" وسعى إلى وحدة هذه القبائل واستطاع داود أن يوحد هذه القبائل التي يجمعها نسبها في ذلك الوقت إلى بيت يعقوب والذي تولى العرش عام 1004 ق. م وحتى وفاته في عام 965 ق. م وقد روت التوراة قصته في سفر صموئيل الثاني، وفي مطلع حكمه كانت الخليل هي عاصمة مملكته، وانتقل إلى القدس بعد أن تم فتحها بعد ثمانية أعوام من حكمه وجعلها عاصمة لملكه، وبنى جيشاً قوياً واستمرت الحروب سجالاً بينه وبين قبائل كنعان. وبنى معبداً أودع فيه تابوت العهد مؤكداً بهذا توحيد قبائل بنى إسرائيل رغم أن اللاويين قبيلة كانت الذراع التنفيذية للدولة.[1] واستطاع داوود أن يوسع حدود مملكته وأن يبرم المعاهدات مع صور وصيدا.

إن مملكة داود لم تشمل كل فلسطين بل بقي الساحل الفلسطيني الممتد من يافا حتى غزة تحت حكم المصريين. ومات داود بعد أن حكم 40 عاماً وتولى بعده الملك ابنه سليمان الذي اشتهر شهرة واسعة، وكان عمره عند توليه الحكم 12 عاماً، وتزوج سليمان من ابنه فرعون مصر وشيد المعبد المعروف باسمه "هيكل سليمان"، وشهدت المملكة في عهده ازدهاراً كبيراً، ولما مات في عام 931 ق. م.[2] خلفه ابنه رحبعام الذي انقسمت في عهده قبائل بنو إسرائيل إلى قسمين: القسم الأول في الشمال ويسمى "مملكة إسرائيل" وعاصمتها السامرة وتتألف من عشرة قبائل من أسباط بنى إسرائيل، والقسم الثاني في الجنوب ويسمى "مملكة يهوذا" وعاصمتها القدس وتتألف من قبيلتين فقط هما يهوذا وبنيامين وهي التي ظلت تحت حكم رحبعام بن سليمان.

---

(1) المرجع السابق، ص176.

(2) د. أحمد سوسه: **العرب واليهود في التاريخ**، ص302.

ثانياً: المملكة الإسرائيلية في الشمال:

أطلق اسم "إسرائيل" أو "إفرايم" على هذه المملكة بعد انقسام اتحاد القبائل العبرانية، كما كانت تسمى السامرة وعاصمتها شكيم (نابلس). وكانت قبيلة "إفرايم" من أهم قبائل هذه المملكة، وبايعت القبائل العشرة "يربعام" ملكاً على إسرائيل (928 – 907) ق. م. وكانت المملكة الشمالية أكثر أهمية من الناحية الاقتصادية وأقل أهمية من الناحية الدينية حيث لم يكن بها مركزاً دينياً مثل القدس عاصمة المملكة الجنوبية. وكانت المملكة الجنوبية تمنع حجاج المملكة الشمالية من القدوم إلى القدس. وفي خلال ثلاثة قرون وعشرة سنوات حكمها 19 ملكاً من تسعة قبائل إسرائيلية. ولقد جرد "شلما نصر" الخامس الأشورى حملة عسكرية وحاصر المملكة الشمالية ثلاث سنوات متواصلة إلى أن سقطت في يد "خلفه سرجون الثاني" عام 721 ق. م، وأصبحت المملكة الشمالية مقاطعة آشورية.[1]

تنسب التوراة إلى المملكة الشمالية أنها كانت مملكة فاسدة دينياً، تقول التوراة: "وحصَّنَ يربعام (ملك الشمالية) مدينة شكيم (نابلس) في جبل "أفرايم" وأقام فيها... وبعد المشاورة سَبَكَ الملك عجلى ذهب وقال للشعب إن ذهابكم إلى أورشليم للعبادة يعرضكم لمشقة عظيمة، فها هي آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من ديار مصر."[2] وتضيف التوراة أن الإسرائيليين ارتكبوا المعاصى: "وارتكب بنو إسرائيل في الخفاء المعاصى في حق الرب الههم."[3] وكذلك "اقترفوا الموبقات لأغاظة الرب، عابدين الأصنام التي حذرهم ونهاهم الرب عنها... قائلاً ارجعوا عن طرقكم الأثيمة، وأطيعوا وصايای... لكنهم أصموا آذانهم... وتعاطوا العرافه والفأل."[4] وأضافت التوراة في أنهم: "لم يعدل الإسرائيليون عن ارتكاب جميع خطايا "يربعام"، بل أمعنوا في اقترافها، فنفى الرب إسرائيل من حضرته... فسبى، الإسرائيليين إلى أشور إلى هذا اليوم."[5]

---

(1) عبدالوهاب المسيري: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ص183 – 184.

(2) **سفر الملوك الأول**، اصحاح 12: 25 – 33.

(3) **سفر الملوك الثاني**، 17: 9.

(4) **سفر الملوك الثاني**، الاصحاح 17 والآيات: 13 – 14، 16، 17.

(5) المرجع السابق: الاصحاح 17 والآيات 22، 23.=

ثالثاً: المملكة الجنوبية: مملكة يهوذا:

بعد موت سليمان عام 928 ق. م وانقسام اتحاد القبائل العبرانية إلى مملكتين، سميت المملكة الجنوبية "بمملكة يهوذا" وضمت قبيلتي "يهوذا" وبنيامين، وهما القبيلتان اللتان بايعتا "رحبعام" بن سليمان ملكاً عليها. وكانت القدس عاصمة مملكة يهوذا، ولم يكن لهذه المملكة ساحل على البحر الأبيض المتوسط إذ كان الفلسطينيون يشغلون الجزء الجنوبي من الساحل ولقد كانت مملكة يهوذا أكثر استقراراً من المملكة الإسرائيلية نظراً لصغر حجمها ولقلة أهميتها، وبعدها عن طرق الجيوش الغازية. وقد ظهر في المملكة الجنوبية معظم الأنبياء، ودون فيها معظم أسفار العهد القديم وأول ملوكها رحبعام الذي حكمها من عام 1928 ق. م إلى 911 ق. م. وقد أصبحت القوة الآشورية عنصراً أساسياً في المملكة الجنوبية، وخاصة بعد تدمير المملكة الشمالية وعندما استولى عليها نبوخذ نصر الكلداني في عام 586 ق. م. دمر القدس، ومدن المملكة الجنوبية كلها، وأسر النخبة اليهودية وأخذها إلى بابل، وتحولت المملكة الجنوبية إلى وحدة تابعة إلى إدارة بابل.[1]

وأما ما ينسب إلى المملكة الجنوبية من فساد فقد جاء في سفر الملوك الثاني: "وارتكب الشر في عيني الرب، مقترفاً رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل."[2] ويستمر سفر الملوك الثاني يتهم منسى ملك يهوذا في نصب التماثيل واللجوء إلى الجان والعرافين وارتكاب الشر ثم قال الرب على لسان عبيده الأنبياء: "لأن منسى ملك يهوذا اقترف جميع هذه الموبقات، وأضل اليهود، ها أنا أجلب شراً على أورشليم ويهوذا... وامسح أورشليم كما يمسح الصحن من بقايا الطعام، وأنبذ شعبي، واسلمهم إلى أيدى أعدائهم فيصبحون غنيمة وأسرى لهم لأنهم ارتكبوا الشر في عيني... وزاد منسى فسفك دم أبرياء كثيرين."[3]

=وللمزيد أنظر: عبدالرزاق محمد أسود: **الموسوعة الفلسطينية**، الدار العربية للنشر والتوزيع، المجلد الأول، الطبعة الأولى، بيروت، 1978، ص16، وكذلك أنظر: د. حسين شريف: **من العهد القديم إلى قيام دولة إسرائيل**، ص49 وما بعدها.

(1) عبدالوهاب المسيري: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ص180 – 181.

(2) **سفر الملوك الثاني**، 21: 2.

(3) **سفر الملوك**، 21: 3، 4، 6، 10، 12، 13، 14، 16.

التهجير الآشوري والبابلي:

تم تهجير العبرانيين على يد الآشوريين والبابليين إلى بابل وسمى ذلك بالأسر البابلي والآشوري. وفي الأسر الآشوري الأول عام 721 ق. م وصل عدد الأسرى إلى 27290 حسب الرواية البابلية ويقال أن معظمهم قد اندمجوا في محيطهم الآشوري. أما السبي البابلي الثاني الذي وقع في 587 ق. م فقد حمل البابليون إلى جانب الأسرى كل أواني الهيكل في القدس. وعندما هزم قورش ملك الفرس الامبراطورية البابلية سمح لليهود بالعودة إلى القدس في عام 538 ق. م.

وعلى العموم فقد طور فقهاء اليهود في بابل البنية الدينية اليهودية وبلغ الفكر الديني اليهودي في بابل أقصى ازدهار له، وتراكم الجزء الأكبر منه والأهم في التراث الديني، ويكفي أن التلمود البابلي الذي كتب في بابل أصبح هو مرجع الحياه اليهودية، ولهذا يرى كثير من اليهود أن اليهودية بدأت كدين بالمعنى الكامل في الأسر البابلي."[1]

استطاع الاسكندر المقدوني أن يقضي على الهيمنة الفارسية على فلسطين عام 334 ق. م وفرض هيمنته على البحر الأبيض المتوسط. وعندما وصل "بومبى" الروماني عام 65 ق. م إلى سوريا، دخل القدس عام 63 ق. م وأصبح الرومان منذ ذلك التاريخ القوة الأساسية في منطقة الشرق الأدنى.

وفي عام 70م قاد "تيطس" أحد أباطرة الرومان القوات الرومانية في مقاطعة يهودا الرومانية واستولى على القدس ودمر الهيكل. وعندما جاء الإمبراطور الروماني "ايليانوس هادريانوس"، أحد أباطرة الرومان الذين اصطدموا باليهودية حين أصدر قراراً بمنع الختان، وطلب منه اليهود إعادة بناء القدس والهيكل فحولهما إلى مقاطعة رومانية، واعيد بناء القدس كمدينة رومانية أسماها "إيليا كابيتولينا"، ومنع دخول اليهود إليها نشبت ثورة اليهود الثانية بقيادة باركوخيا فأخمدهما هادريان في عام 135م. وقضى على وجودهم نهائياً حتى مطلع القرن العشرين.[2] وهكذا اختفت تماماً المملكة

(1) عبدالوهاب المسيري: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ص189 – 190.
(2) المرجع السابق، ص217.

الجنوبية عام 135م واختفت قبلها المملكة الشمالية عام 721 ق. م. ويقول المؤرخ البريطاني "أرنولد توينبي" في معرض دراسته للتاريخ اليهودي: "لم يؤسس اليهود دولة كبرى ولم ينشئوا حضارة مزدهرة، وتاريخهم خال من الأعمال الحضارية الكبرى التي أنجزتها الحضارات المعاصرة لهم أو المتقدمة عليهم في الزمن كالحضارة السومرية والأكدية والبابلية والآشورية والأخمنية والسورية والمصرية والهيلينية، إنما كان أهم إنجاز لهم هو عقيدة التوحيد."[1]

التراث اليهودي:

إن المصادر العقيدية والفكرية عند اليهود تعتمد على مصدرين أساسيين هي: التوراة والتلمود.[2] أما التوراة فهي كلمة عبرية تعني الهداية والإرشاد ومعناها الحرفي "التعليم" وتتكون التوراة من خمسة أسفار هي سفر التكوين وسفر الخروج وسفر اللاويين وسفر العدد، وسفر التثنية والقسم الثاني من التوراة هو الأنبياء وهي أسفار منسوبة لأنبياء بنى إسرائيل مثل سفر يوشع، وسفر القضاة، وسفر الملوك الأول والثاني وكذلك تحوى قسم الكتابات: وتتضمن سفر المزامير وسفر الأمثال وغيرها والتوراة هي أول كتاب سماوي فصلت فيه الأحكام.[3]

وهناك عدة أنواع من التوراة: مثل توراة موسى بن عمران عليه السلام، وتوراة السامريين، والتوراة العبرانية، والتوراة اليونانية المترجمة. اتفق معظم شراح العهد القديم على تعدد النسخ التي جمعت فيها التوراة، وأهمها نسخة "الوهيم"، ونسخة "يهوه" ونسخة "الكهنة" وأن أقدم سفر قد كتب هو سفر عاموس، وقد كتب حوالي عام 750 ق. م وآخر ما كتب فهو سفر دانيال وسفر المزامير في القرن الثاني قبل الميلاد.[4]

---

(1) عبدالرازق محمد أسود: **الموسوعة الفلسطينية**، ص18. وللمزيد أنظر: عبدالوهاب الكيالي: **تاريخ فلسطين الحديث**، ص14 – 15. وكذلك أنظر: أبكار السقاف: **إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة**، ص300. وكذلك أنظر: يوسف هيكل: **فلسطين قبل وبعد**، ص52 وما بعدها. وكذلك أنظر: وزارة الدفاع الوطني: الجيش اللبناني: **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، ص20 وما بعدها. وكذلك أنظر: جودت السعد: **الشخصية اليهودية عبر التاريخ**، ص35 وما بعدها.

(2) بيان نويهض الحوت: **فلسطين القضية، الشعب، الحضارة**، الطبعة الأولى، دار الاستقلال للدراسة والنشر، بيروت، 1991، ص6.

(3) عبدالرازق محمد أسود: **الموسوعة الفلسطينية**، ص88.

(4) المصدر السابق، ص88.

أما التلمود فهو كتاب شرائع وآداب إسرائيل وينقسم التلمود إلي قسمين الأول هو "المشناه" وهو الأصل والثاني "جمارا" وهو شرح للمشناه. "ومشناه" أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة وهو خلاصة القانون الشفهي الذي تناقله الحاخامات منذ ظهور حركة الفريسيين، ونشطت حركتهم بعد ظهور عيسي عليه السلام. ولقد تأخرت كتابة التلمود عن العهد القديم بما يزيد عن سبعة قرون حيث تمت كتابته بين القرنين الثاني والخامس بعد الميلاد.[1] ولم تمضى مائة وخمسون سنة على مجيء المسيح حتى قام رباني يدعي "يهوذا"، ولخوفه من تغتال يد الضياع هذه التعاليم جمعها في كتاب سماه "مشنا" وفي العصور التالية علقت شروح اضافية على مشنا. وقد تأثر معلقوها بالمذاهب اليهودية والفلسطينية والبابلية، وسميت هذه التعليقات "بالجمارا" وهذه الشروح مع متنها هي التلمود. وهناك التلمود الفلسطيني والتلمود البابلي الذي يحظى بمكانة أكبر بين اليهود لأن حجمه أربعة أضعاف حجم التلمود الفلسطيني، وأن أحبار اليهود في بابل يحظون بثقة أرسخ من ناحية التبحر في الفكر اليهودي مما كان يحظى به شراح فلسطين.

ولا نعتقد أن كتاباً في الأرض تعرض للملاحقة والمصادرة والحرق كما تعرض التلمود عبر التاريخ. ولم تبق حضارة قامت في التاريخ القديم والوسيط إلا طردت اليهود ولاحقتهم وأحرقت كتبهم ومعابدهم وعملت لهم مذابح حيثما حلوا وحيثما رحلوا.

لقد حمل التلمود في دفتيه عداء للمسيحية، واتهامات وافتراءات على المسيح وأمه، وكذلك حمل كل معاني الرفض للمسيحية. وكان التلمود مصدر متاعب ليهود أوربا طوال القرون الوسطى. وقد أحرقت نسخ التلمود لأول مرة في فرنسا سنة 1244م في باريس. وصدرت الأوامر بإتلاف نسخ التلمود في فرنسا في عهد لويس في سنة 1266 حتى 1270م. كما تم ذلك في بريطانيا 1290م حين أمر الملك بطرد اليهود من البلاد. وفي سنة 1565 أصدر البابا بيوس الرابع أمراً: أنه يجب حرمان التلمود وحتى من اسمه. وقام البابا جريجورى الثالث عشر (1575 – 1580م)

(1) شبكة المعلومات الدولية، "الإنترنت" الموقع:
www.qudsonline.net/searching/documents/searching027.htm

بحملات جديدة ضد التلمود، وهاجم مجلس المدينة في بولندا عام 1840م التلمود بأنه مصدر احتقار اليهود للدين المسيحي.[1]

الإسرائيليون واليهود في القرآن الكريم:

يعقوب عليه السلام هو إسرائيل كما جاء في القرآن الكريم: "كل الطعام كان حلاً لبنى إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة."[2] وكذلك: "يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التي أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين."[3] وكذلك: "إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً... وآتاكم ما لم يؤتِ أحداً من العالمين."[4] هؤلاء هم الإسرائيليون الذين بدأوا بيعقوب ومن بعده أبناءه الذين هم أسباط بنى إسرائيل ومن تناسل من ذرياتهم، ويعقوب، ويوسف عليهما السلام هم من أنبياء الله المسلمين، "ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون. أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل واسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون."[5]

فهؤلاء الرسل الكرام مسلمون واليهم يعود نسب الإسرائيليين. وهي مسألة سلالة وارتباط عرقي وقومي وهم أبناء المنطقة العربية ومنهم يهوداً ومسيحيين ومسلمين. إن الإسرائيلية صفة قومية فيها ديانات مختلفة بينما "اليهودية" عقيدة دينية بحتة، اعتنقها الناس من شعوب وقوميات مختلفة، فليس كل إسرائيلي يهودياً ولا كل يهودي إسرائيلياً. وسنبين ذلك عند الحديث عن العرق اليهودي.

---

(1) المرجع السابق. وللمزيد أنظر: الجنرال حداد أتلخان: **الإسلام وبنو إسرائيل**، ترجمة يوسف والى شاه، الرياض، 1404هـ، ص60– 61. وكذلك أنظر رفيق النتشه: "**الإسلام وفلسطين**"، محاضرة، فلسطين المحتلة، بيروت، 1988، ص42 – 43. وكذلك أنظر: عبدالوهاب المسيري: **نهاية التاريخ**، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الأهرام، رقم 23. مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، 1973، ص56 – 57. وكذلك أنظر: إسرائيل شاحاك: **الديانة اليهودية وموقفها من الآخرين**، ترجمة حسن خضر، سيناء للنشر، القاهرة، 1994، ص62. وكذلك: د. فاضل عبدالواحد علي: **من سومر إلى التوراة**، الطبعة الثانية، سيناء للنشر، القاهرة، 1996، ص189، وكذلك أنظر: د. أسعد رزوق: **الدولة والدين في إسرائيل**، مركز الأبحاث، بيروت، 1968، ص57 وأنظر كذلك ص24 – 25.

(2) سورة آل عمران: 93.

(3) سورة البقرة: 47.

(4) سورة المائدة: 20.

(5) سورة البقرة: 132 – 133.

ومن اليهود من ارتد وكفر وعبد العجل وحرفوا التوراة وقتلوا الأنبياء وأشانوا سمعتهم والقرآن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء تفريقاً واضحاً وقاطعاً لا لبس فيه حيث يقول القرآن الكريم في بيان تحريفهم للتوراة: "ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون، فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون."[1] وكان عجل السامرى هو فتنة كبرى وقال تعالى: "واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين"[2] وعندما عاد موسى عليه السلام ورأي اليهود يعبدون العجل قال كما جاء في القرآن الكريم: "يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم..."[3] فتاب فريق منهم وفريق آخر تظاهر بالتوبة وهم الذين قال فيهم رب العالمين: "واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم"[4] ويتوعدهم رب العزة في كتابه فيقول: "إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين"[5] فهؤلاء الذين تظاهروا بالتوبة فهادوا، أي تابوا ورجعوا نفاقاً، سموا فيما بعد "هوداً" وهم بداية اليهود في الفكر اليهودي المنحرف والسامرى هو المؤسس الأول لذلك وهؤلاء هم الذين يقول فيهم رب العالمين: "كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون"[6] وفي قوله تعالي "يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب"[7] وقوله تعالي: "وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون"[8] وهذه الآية الكريمة تبين بوضوح الموقف من اليهود "لتجدن أشد الناس عداوة

---

(1) سورة البقرة: 78 – 79.
(2) سورة الأعراف: 148.
(3) سورة البقرة: 54.
(4) سورة البقرة: 93.
(5) سورة الأعراف: 152.
(6) سورة المائدة: 70.
(7) سورة المائدة: 15.
(8) سورة آل عمران: 187.

للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا"[1] وكذلك: "وجعل منكم القردة والخنازير وعبد الطاغوت"[2] والشواهد في القرآن الكريم على كفر اليهود كثيرة ولا تقع تحت حصر يقول تعالي: لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون" وكذلك: "فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون"[3] فالله سبحانه وتعالي أعلم بمن اهتدى: "يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله."[4] لقد أزاغ الله قلوب الكافرين: "وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين. وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين."[5]

إن اليهودية رسالة سماوية جاء بها موسى عليه السلام ثم مضى بعد أن أبلغ الأمانة، وقد أوذى في سبيلها، كما أوذي أنبياء من قبله ومن بعده، فمن بنى إسرائيل من آمن ومنهم من كفر، والذين تفرقوا من بنى إسرائيل انحرفوا بهذه الديانة عن حقيقتها فرسالات السماء واحدة لا تتغير منذ آدم عليه السلام حتى محمد صلى الله عليه وسلم.

الأرض محور تدور حوله أسفار التوراة:

تعريف الأرض: "الواحد القدوس، تبارك اسمه قاس جميع البلدان بمقياسه، ولم يستطع العثور على أية بلاد جديرة بأن تمنح لجماعة إسرائيل سوى أرض إسرائيل وهي كذلك الأرض الإلهية."[6]

---

(1) سورة المائدة: 82.
(2) سورة المائدة: 60.
(3) سورة البقرة: 59.
(4) سورة التوبة: 34.
(5) سورة الصف: 5 – 6.
(6) دانيال 11: 16.

ويبين سفر يوشع في التوراة أن أرض إسرائيل تسمى "أرض الرب."[1] وكذلك هي "الأرض التي يرعاها الله."[2]

وكذلك هي الأرض المختارة، "وصهيون التي يسكنها الرب" "والأرض المقدسة."[3]

فالسكنى في هذه الأرض بمنزلة الإيمان لأن من يعيش داخل "أرض إسرائيل" يمكن اعتباره مؤمناً، أما المقيم خارجها فهو إنسان لا إله له. وهي أيضاً "أرض الميعاد" التي سيعود اليهود اليها تحت قيادة "الماشيح"، أي الأرض التي تشهد نهاية التاريخ. فإذا كان الشعب اليهودي هو أمة الكهنة، فإن الأرض بمنزلة المعادل الجغرافي لهذا التصور، وليس التاريخ اليهودي إلا تعبيراً عن الارتباط بالأرض، وقد ارتبطت شعائر الديانة اليهودية بالأرض، وأهم قسم في الصلوات اليومية ويدعى "شمونه عسيرية" يتضمن دعاء بمجئ الماشيح الذي سيأتي في آخر الأيام ويقود شعبه إلى الأرض.[4]

الأرض والوعد الإلهي في الأسفار:

يبدأ سفر التكوين في إصحاحه التاسع قبل أن يتطرق إلى الأرض بأن يلعن "كنعان" ويبارك "سام" فيقول: "ملعون كنعان عبد العبيد لاخوته" وقال: "مبارك الرب اله سام، وليكن كنعان عبداً لهم"[5] وما أن ينتهي الفصل الحادى عشر من سفر التكوين من العهد القديم بذكر "ابرام" الحفيد التاسع في سلسلة أبناء سام ابن نوح حتى يستفتح الإصحاح الثاني عشر بقول الرب لأبرام: "اذهب من أرضك ومن أرض عشيرتك... إلى الأرض التي اريك... فذهب ابرام كما قال له الرب... فأتوا إلى أرض كنعان، وظهر الرب لابرام وقال: "لنسلك اعطى هذه الأرض."[6] وتقول التوراة: "وحدث جوع في الأرض، فانحدر "ابرام" إلى مصر ليتغرب هناك، لأن الجوع في الأرض كان شديداً"[7] ثم عاد

---

(1) يوشع 9: 3.

(2) دانيال 11: 16.

(3) زكريا2 : 12.

(4) عبدالوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ص78.

(5) سفر التكوين: 9: 20.

(6) سفر التكوين: 12: 1.

(7) سفر التكوين: 12: 10.

عاد "وسكن في أرض كنعان... فقال له الرب: ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، لأن جميع الأرض التي أنت ترى، لك أعطيها، ولنسلك إلى الأبد"[1] ومعروف أن اسماعيل من نسل ابراهيم عليه السلام كما هو اسحق ولا نجد ذكراً فيما بعد ذلك على الإطلاق لمثل هذا الوعد، وإذا كان الوعد من الله فلماذا أبعد الإسرائيليين عنها في المملكة الشمالية مدة 2725 عاماً متواصلة على افتراض أن الذين عادوا إلى فلسطين هم نسل أبناء يعقوب وليسوا من نسل الخزر، علماً بأن هذه الأسفار كتبت حوالي 500 ق. م. وتتابع التوراة الدوران حول الأرض مرات ومرات وها هي في الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين تقول: "قال له الرب: أنا الرب الذي أخرجك من "أور" الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها" وفي نفس الاصحاح تقول التوراة: "قطع الرب مع ابرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطى هذه الأرض. من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات."، وقال الرب لابرام: "اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم. ويستعبدون لها أنا أديتها.

الوعد يتكرر لاسحق ويعقوب:

"وكان في الأرض جوع، فذهب اسحق بن إبراهيم إلى أبي مالك ملك الفلسطينيين... فظهر له الرب وقال... تغرب في هذه الأرض لأني لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد، وأفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك."[2] ولكي تخرج التوراة "عيسو" توأم يعقوب من هذا الإرث وتحويله إلى يعقوب فقط قال اسحق لعيسو: "بلا دسم الأرض يكون مسكنك، وبسيفك تعيش، ولأخيك تستعبد."[3] وقال اسحق لأخيه يعقوب: "يعطيك الله بركة إبراهيم لترث أرض غربتك التي أعطاها الله لإبراهيم."[4] ومثلما استبعد إسماعيل كما تقول التوراة، فقد قالت سارة لزوجها إبراهيم عليه السلام: "إن ابن هذه الجارية هاجر لا يرث مع ابني اسحق."[5] فقد استبعد أيضاً عيسو كما سبق

(1) سفر التكوين: 13: 14.
(2) سفر التكوين: 16: 1.
(3) سفر التكوين: 27: 39.
(4) سفر التكوين: 28: 4.
(5) سفر التكوين: 21: 12.

أن أوردناه على لسان اسحق عليه السلام الذي أوصى يعقوب قائلاً: "لا تأخذ زوجة من بنات كنعان. اذهب إلى فدان آرام (في بلاد ما بين النهرين) وخذ لنفسك زوجه من بنات "لابان" أخي أمك، والله يعطيك بركة إبراهيم لترث أرض غربتك."[1] وتخبرنا التوراة: "ثم قام يعقوب وحمل أولاده ونساءه على الجمال ليجئ إلى أرض كنعان."[2] ثم "سكن يعقوب في أرض غربة أبيه، في أرض كنعان."[3] ثم ظهر الرب ليعقوب بن اسحق وقال: "أنا يهوه، إله إبراهيم أبيك واله اسحق. الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك."[4]

وكان "يهوه" قد بدد الخوف من نفس يعقوب بقوله: "لا تخف من النزول إلى مصر، لأني اجعلك أمة عظيمة هناك. أنا أنزل معك إلى مصر هناك، وأنا أصعدك أيضاً."[5] وينتهي سفر التكوين في اصحاحه الأخير رقم 50 بقول يوسف لأخوته: "أنا أموت ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي حلف لإبراهيم واسحق ويعقوب."[6]

سفر الخروج يجدد الوعد لموسى وخليفته يوشع بن نون:

فاختار الرب موسى نبياً وقائداً، وناداه قائلاً: "أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب... إني قد رأيت مذلة شعبي فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين... واصعدهم إلى أرض جيدة وواسعة إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً. إلى مكان الكنعانيين... فالآن هلم فارسلك إلى فرعون وتخرج شعبي بنى إسرائيل من مصر."[7] وتكرر الوعد في سفر الخروج بنفس المعنى ويتكرر في سفر العدد وكذلك في سفر التثنية حيث يقول: قال الرب لموسى: "يطرد من أمامك شعوباً أكبر وأعظم منك

(1) سفر التكوين: 31: 1.
(2) سفر التكوين: 31: 17.
(3) سفر التكوين: 37: 1.
(4) سفر التكوين: 28: 13.
(5) سفر التكوين: 46: 3.
(6) سفر التكوين: 46: 3.
(7) سفر الخروج: 3: 6.

ويأتي بك ويعطيك أرضهم."[1] وتنقل لنا التوراة على لسان موسى: "ويهوه يطرد جميع الشعوب من أمامكم... كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان من نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخمكم."[2] ودعا موسى يشوع (خليفته) وقال له أمام أعين جميع إسرائيل: "تشدد وتشجع، لأنك أنت تدخل مع هذا الشعب الأرض التي أقسم الرب لأبائكم أن يعطيكم اياها وأنت تقسمها لهم."[3] وفي سفر يشوع: "وكان بعد موسى أن يهوه كلمه يوشع قائلاً: قم واعبر هذا الأردن الأردن أنت وكل الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لبني إسرائيل."[4] وتكرر ليوشع نفس الوعود "فأعطى الرب إسرائيل جميع الأرض التي أقسم أن يعطيها لآبائهم فامتلكوها وسكنوا بها."[5]

وقد تضخم الحديث عن الأرض كثيراً وعن ارتباط اليهود بها فتحولت إلى فكرة لاهوتيه ونشأ ما يسمى "لاهوت الأرض المقدسة"، وكان من أهم المشكلات التي نوقشت في "لاهوت الأرض" مشكلة حدودها، فقد جاء في سفر التكوين 15: 18 أن الاله قد قطع مع ابراهيم عهداً بأن حدود هذه الأرض من نهر مصر إلى نهر الفرات، ولكن في الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر العدد توجد خريطة أخرى مختلفة تماماً وحدودها هي حدود أرض كنعان وتخومها وقد حددت التخوم بشكل مختلف عن سفر التكوين.

وعلى العموم فقد طالب الحاخامات اليهود بوجوب انتظار الماشيح والإذعان لإرادة الله، وحذروا من العودة اليها وأن الارتباط يجب أن يكون عاطفياً فقط. وهذا الرأي رفضته الجماعات المشيحانية المختلفة وكذلك رفضته الصهيونية التي قفزت عن هذا التحريم وهو التعجيل بالنهاية.[6]

---

(1) سفر التثنية: 4: 38.

(2) سفر التثنية: 11: 23.

(3) سفر التثنية: 1: 3.

(4) سفر يوشع: 1: 1.

(5) سفر يوشع: 21: 43.

(6) عبدالوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ص78 – 79.

ويقول الدكتور أحمد سوسه: "... وأن كل ما ورد في توراتهم من وعود بمنحهم فلسطين، باعتبارهم الشعب المختار... إن هي إلا من نسج ومن ترتيب كتبة التوراة."[1]

العرق اليهودي:

العرق كلمة مرادفة للسلالة أو الجنس وهي جملة السمات البيولوجية مثل حجم الرأس وشكل الأنف ولون الجلد والعيون والشعر.

ويؤمن كثير من المفكرين اليهود بوجود عرق يهودي مستقل، ولعل المفكر اليهودي الصهيوني "موسى هس" (1812 – 1875) هو أول من طرح تعريفاً على أساس "عرقي"، وأن العرق اليهودي من الأعراق الرئيسية في الجنس البشري. وكذلك فإن المفكر اليهودي "ماكس نوردو" وهو من أهم مفكري العنصرية الغربية يقول: "إن اليهودية ليست مسألة دين وإنما هي مسألة عرق وحسب."[2] ولقد تحدث كثير من علماء اليهود وغيرهم عن نقاء العرق اليهودي، فقد عرف الأمريكي "لويس براندير" اليهودية بأنها مسألة تتعلق بالدم، والعالم اليهودي الصهيوني "أغناتز زولتسان" (1877 – 1894) وصف اليهود بأنهم: "أمة من الدم الخالص لا تشوبها أمراض التطرف أو الانحلال الخلقي"[3] ولقد كانت إحدى مسودات وعد بلفور التي قدمها اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا وهو غير يهودي تدعو إلى إقامة وطن قومي للجنس اليهودي، ولم تكن مثل آخر صياغة لها وهي وطن قومي لليهود.[4] وعلى وجه العموم فالنقاء العرقي اليهودي، ظل القاسم المشترك لليهود مثالين وماديين، مؤمنين وملحدين، شرقيين وغربيين مع أن الحقائق والأدلة تؤكد أن اليهودية بدأت بالانتشار بين الشعوب على اختلافها منذ تبلور الديانة اليهودية في بابل وحتى العصور الوسطى "فقد انتشر الدين اليهودي بين مختلف الأمم والأجناس، بعد كتابة التوراة، وهكذا ظلت اليهودية فاتحة ذراعيها

(1) د. أحمد سوسه: **العرب واليهود في التاريخ**، ص24 وكذلك أنظر ص6.

(2) عبدالوهاب المسيري: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ص19.

(3) المرجع السابق.

(4) محمود حسن صالح منسى: **تصريح بلفور**، دار الفكر الغربي، القاهرة، 1970، أنظر الفصل الرابع، ص77 وما بعدها.

مرحبة بمقدم كل من ينضوى مخلصاً تحت لوائها من الشعوب الأخرى."[1] ويقول "آرثر كوستلر" في كتابه: امبراطورية الخزر: "تنفى اكتشافات الانثروبولوجيا الطبيعية وجود جنس يهودي خلافاً للفكرة الشائعة، فالمقاييس الانثروبولوجية للجماعات اليهودية في أجزاء كثيرة من العالم تدل على أنهم يختلفون عن بعضهم اختلافاً كبيراً... من حيث طول القامة، والوزن، ولون الجلد، والدليل الرأسي."[2] وأصبح بوسع عشرات الباحثين المعاصرين، وكثير من اليهود أن يقروا بشكل قاطع أنه لا يوجد عرق يهودي. ومن بين هؤلاء الباحثين: "فردريك هيرتس"، وأوصين بيتاردوبلى ولامبروز ولوشان وسالر وغيرهم.[3] بل إن لامبروز وربلى يقولان أن اليهود المحدثين هم آخر الأمر وفي النهاية أقرب إلى الآرية منهم إلى السامية.[4]

وجاء في إعلان الأجناس والتباينات العرقية الذي أقرته مجموعة من علماء السلالات البشرية البارزين عام 1951 أن المسلمين واليهود لا يمثلون أجناساً شأنهم في ذلك شأن الكاثوليك والبروتستانت وسكان ايسلندا وبريطانيا والهند والشعوب الناطقة بالإنجليزية.[5]

ولا شك أنه كانت هناك غاية كبرى من وراء طرح مسألة العرق من قبل المفكرين اليهود والزعامات الصهيونية ومن كتاب الصهيونية المسيحية فقد كانت الصهيونية تبحث عن الشرعية من أوربا لا من اليهودية ولذا كان عليها أن تصبح عرقاً مستقلاً، لأن العرق المستقل وحده هو الذي من حقه أن تكون له دولة مستقلة، وخاصة في ظل وهج العنصرية الذي استشرى في أوربا حتى الثلاثينات

---

(1) أحمد سوسه: **العرب واليهود في التاريخ**، ص333 – 334.

(2) Arthur Koestler: **The Thirtenth Tribe**, **The Khazar Empire and its Heritage**, New York, Random House, 1976. P. 188-189.

(ورد في جودت السعد: **الشخصية اليهودية عبر التاريخ**، ص80).

(3) فرانتس شايدل: **إسرائيل أمة مفتعلة**، ترجمة محمد حديد، وزارة الثقافة، دمشق، 1969، ص65 وما بعدها. (ورد في عبدالرحمن غنيم: **المرتكزات النفسية للفكرة الصهيونية**، دار الجليل، الطبعة الثانية، دمشق، 1985، ص21).

(4) المصدر السابق، ص71 – 72.

(5) ميلنا فورد رجنيسكايا: **الصهيونية العنصرية**، ص60 (ورد في جودت السعد: **الشخصية اليهودية عبر التاريخ**، ص78).

من القرن التاسع عشر حيث كانت الحياة في أوربا قد تحولت عن العنصرية إلى حد كبير مما كانت تحظى به من قبول وتأييد.

فالغاية الصهيونية كانت ترتكز في أحد أسسها للوصول إلى أهدافها في الاستيلاء على فلسطين على إثبات أن اليهود قومية ومن جنس واحد ودم واحد، ولسوء حظ الصهيونية كان عليهم أن يتعاملوا مع أقليات يهودية من البيض ومن السود والصفر، فقد كان هرتزل الزعيم الصهيوني معجباً بالنظرية العرقية وهو صاحب البشرة البيضاء والعينين الزرقاوين والوجه النحيل وكان صديقاً لإسرائيل زانجويل (1864 – 1926) الزعيم اليهودي والصهيوني العنصري وكان زانجويل صاحب بشرة سوداء وأنف زنجي وشعر أجعد، وكانت نظره واحدة إليه تكفي كما يقول هرتزل نفسه لدحض أي تصور عرقي واحد لليهود.[1]

كانت فكرة القومية اليهودية قد أخذت في الاتساع انطلاقاً من الأفكار القومية الأوربية، وقد كان هدف الفكرة واضحاً وجلياً كما عبر عن ذلك "بريتس سمولنسكين" (1842 – 1885) حيث يقول: "كنا دائماً أمة روحية وكانت التوراة أساس تجمعنا... وكانت الضريبة الملقاة على عاتقنا كأصحاب أرض، الأرض التي ستعاد لنا، ولن تكون لنا أرض دون أن تكون وحدتنا حجر الزاوية، لن تكون لنا أرض دون أن تجمعنا روابط قوية. حقاً إن هذه الأرض لنا لأننا أمة..."[2]

"وموسى هس" (1812 – 1875) الذي عبر عن آرائه في كتابه الهام (روما والقدس) وكل أبناء عصر "هس" حتى المتنورون آمنو بالفكرة التي تدعو إلى قيام كيان يهودي وموسى هس لم ير وسيلة لتحقيق هذا الهدف غير الانعتاق القومي كفرصة وحيدة لتحقيق أماني الشعب اليهودي.[3]

ولا شك أن "ليوبنسكر" (1821 – 1894) اليهودي الروسي الذي أصدر كراسه الشهير عام 1982 تحت عنوان "التحرر الذاتي" كان في طليعة الداعين إلى نبذ فكرة الاندماج حيث

---

(1) عبدالوهاب المسيري: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ص21.

(2) أبراهام أرتسبورغ: **الفكرة الصهيونية، النصالعبري**، ص106 (ورد في جودت السعد: **الشخصية اليهودية عبر التاريخ**، ص101).

(3) اسحق جرنقيم: **الحركة الصهيونية**، الجزء الأول، النصالعبري ص3 (ورد في جودت السعد: **الشخصية اليهودية عبر التاريخ**، ص109).

قال: "الشعب اليهودي لا وطن أبوياً له على كثرة أوطانه الأم... إنه حاضر في كل مكان وليس له بيت في أي مكان."[1] وكان يرى أن الحل بأن "على اليهود أن يصبحوا أمة"، بل إنه رأي: "أن الحل الوحيد والصحيح ينطوى على خلق قومية يهودية وايجاد شعب له كيانه الخاص... يتم عن طريق حصولهم على وطن خاص بهم وحدهم."[2]

وقد كثرت الكتب والكراسات التي صدرت قبل انطلاق الصهيونية العالمية في عام 1897 وكان آخرها عندما أصدر "تيودور هرتزل" كتاب الدولة اليهودية سنة 1896 واصفا إياه بأنه"محاولة لايجاد حل عصري للمسألة اليهودية" وكان يرى أن المسألة القومية لا يمكن حلها إلا عن طريق جعلها قضية سياسية وأن الدولة اليهودية ضرورة لا بد منها وسوف يتم خلقها، وأن الوحدة التاريخية للشعب اليهودي حقيقة لا سبيل إلى نُكرانها.[3] ورغم أن العرق اليهودي لا أساس له من الصحة ورغم أن القومية اليهودية بدعة سياسية إلا أن القوى العظمى في ذلك الوقت كانت ترى أن مصالحها الاستراتيجية تستدعى توظيف المسألة اليهودية بكل أبعادها الدينية، والقومية والسياسية ومن هنا كانت الصهيونية المسيحية هي التي أنجبت من رحمها الصهيونية اليهودية تحقيقاً لغايات استعمارية كبرى.

---

(1) Dr. Lev S. Pinsker: "**Autoemanzipation**" Mahnrufan Stammes-genossen, Von einem russischen Juden 4 Aufl, Berlin: Judischer Verlag, 1932, P. 6.

(الكتاب صدر باللغة الألمانية)

(2) المصدر السابق، ص29.

(3) Theodor Herzl: **The Jewish State**, **An Attempt at a Modern Solution of the Jewish Question**, trans. By Sylvie d'Avigdor 4th ed. London, 1946, P. 9.

obeikandl.com

المبحث الثالث

الصهيونية

تعريف الصهيونية:

الصهيونية بالمعني الديني اليهودي تشير إلى جبل صهيون في القدس، والعودة إلى صهيون فكرة محورية في النسق الديني اليهودي.[1] والصهيونية كلفظة بمدلولها السياسي الحديث فتعود إلى الصحافي اليهودي النمساوي "ناتان بيرنباوم" الذي كان أول من استعملها في مقالة له بعنوان "التحرر الذاتي"، نشرت في عام 1886 ليدلل بها على الحركة الهادفة إلى تجميع الشعب اليهودي.[2]

أما دائرة المعارف البريطانية في طبعة 1943 فتعرفها: "الصهيونية رد فعل اليهود للاسامية الأممية". ويعرف "ثيودور هرتزل" (Theodor Herzel) الصهيونية بأنها حركة الشعب اليهودي في طريقه إلى فلسطين."[3]

والصهيونية حركة سياسية عالمية منظمة تستند إلى مفاهيم متعددة: دينية، وسياسية، وتاريخية، واجتماعية، ونفسية، ضمن إطار أوربي يحمل طابع القرن التاسع عشر بكل قضاياه المتشابكة. ولا شك أن الصهيونية السياسية الحديثة في اعتناقها للفكرة المستحدثة التي شهدها المسرح الأوربي في القرن التاسع عشر جاءت مقلدة لتلك القوميات من حيث الأسس التي قامت عليها والتي لم تكن متوفرة أبداً لليهود، حيث أن معظم القوميات الأوربية والبلقانية منها على وجه التحديد قامت من أجل نيل السيادة والاستقلال، على أسس قائمة بالفعل، وتوفرت لها مقومات الكيانية من

---

(1) عبدالوهاب المسيري: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ص15.

(2) **الموسوعة الفلسطينية**، القسم العام، **مادة الصهيونية**، ص64.

(3) هاني الهندي ومحسن إبراهيم: **إسرائيل فكرة – حركة – دولة**، دار الفجر الجديد، بيروت 1958، ص31.

التواجد المستمر على رقعة من الأرض، وتكلمت لغة واحدة، وجمعتها العوامل المشتركة الأخرى عبر حقب التطور التاريخي المتواصلة.[1]

ويعرف الصهيوني "سوكولوف" الصهيونية بقوله: "ما هي الصهيونية؟ هي في جوهرها وغايتها فلسطين بكل تأكيد، ولكنها في الوقت نفسه، كل ما هو أقوى وأعمق وأكثر حيوية في الديانة اليهودية في العالم أجمع."[2]

وفي كتابه "الفكرة الصهيونية" يقول "سى ششتر في هرتزبرغ": "الصهيونية مثل أعلى وكونها كذلك يجعل تعريفها متعذراً."[3] وعلى العموم فالتعريفات الصهيونية كثيرة ومتعددة لكثرة أنواعها ومراحلها ولكثرة ما كتب عنها، ولكنها تظل بصفة عامة حركة سياسية يهودية نشأت في أوربا، لحل المسألة اليهودية الناتجة عن التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها المجتمعات الأوربية منذ عصر النهضة، وعدم قدرة اليهود على الانخراط الكامل في تلك المجتمعات،[4] وسعت إلى إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين مستخدمة الرؤى الدينية التوراتية والتلمودية، وهي حركة عنصرية ارتبطت عضوياً بالاستعمار، وليس من المستغرب القول أن الصهيونية كانت من نتاج الجهد الغربي الاستراتيجي فكراً وممارسة.

نشأة الصهيونية:

نشأت الصهيونية ونمت في أوربا، ولم تكن أوربا مجرد المهد للحركة الصهيونية الذي ولدت فيه، جغرافياً وتاريخياً، إنما كان المهد الذي لولاه لما كان للحركة الصهيونية أن توجد. لقد كان عدد اليهود في أوربا في مطلع القرن التاسع عشر يقدر بمليونين ونصف المليون يهودي، يسكن 90%

---

(1) وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني: **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، ص52.

(2) ج. هـ. حانسن: **الصهيونية وإسرائيل وآسيا**، ترجمة راشد حميد، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، 1972، ص20 – 30.

(3) المرجع السابق.

(4) د. عبدالوهاب المسيري: **"الأيديولوجية الصهيونية"**، عالم المعرفة، العدد 60 – 61، حزيران/ يونيه 1968، (الكويت).

منهم في أوربا وحدها.[1] ولهذا كان التغيير الذي يطرأ على المجتمعات اليهودية في أوربا ويؤثر تأثيراً مباشراً على مصير اليهود في باقي أنحاء العالم. وربما كان الاضطهاد الأوربي الأبرز في العصور الوسطى، هو الاضطهاد الديني لليهود وخاصة ما جرى لهم في محاكم التفتيش الكاثوليكية في أسبانيا واتهامهم بصلب المسيح وما نتج عنه من طرد لليهود في عام 1492 وعام 1496، حيث تبدأ من هنا المرحلة الأولى من "المسألة اليهودية" التي تعتبر المقدمة للصهيونية السياسية فيما بعد.[2]

وكان الاضطهاد الأوربي بكل أشكاله هو الذي فرض "الجيتو" الذي يمنع اليهود من الاختلاط بباقي السكان، وشهدت مدينة البندقية عام 1516 إنشاء أول "جيتو" ثم انتشر في كل أوربا، ومع احتلال فرنسا لإيطاليا عام 1870 قضي على نظام الجيتو في سائر أرجاء أوربا. وفي كل مرة كان يرتفع الصوت الأوربي بطرد اليهود.[3] وقد شهدت أوربا على أرضها منذ بداية الوجود اليهودي حتى مطلع القرن العشرين أربع موجات من الطرد الجماعي لليهود، كانت الموجة الأولى قد رافقت الحروب الصليبية في أواخر القرن الحادي عشر في خضم الاندفاع نحو الشرق لاسترداد قبر المسيح، والموجة الثانية من الطرد كانت في منتصف القرن الرابع عشر والتي رافقت انتشار مرض الطاعون الذي حصد أرواح ما يقرب من ربع سكان أوربا، وأطلق عليه "الموت الأسود"، وأطلقت الشائعات بأن الطاعون ليس إلا بلاء من الساميين اليهود، فهوجموا ورحلوا نحو شرق أوربا، والموجة الثالثة جاءت عندما انتهي الحكم العربي في أسبانيا مع انتشار محاكم التفتيش، وتم طرد اليهود الذين رحلوا في أواخر القرن الخامس عشر إلى شمال أفريقيا والإمبراطورية العثمانية وإلى إيطاليا وهولندا وأمريكا. والموجة الرابعة في إثر مقتل القيصر الروسي عام 1881، التي أدت إلى المذابح الشهيرة ضد

---

(1) Walter Laqueur: **A History of zionism**, New York, Holt, Rinehart and Winston, 1972, P. 4

(2) صبري جريس: **تاريخ الصهيونية، (1862 – 1917)**، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، الجزء الأول، بيروت، 1977، ص13.

(3) James Parker: **A History of the Jewish People**, London Weidenfeld and Nicolson, 1962, P. 101.

(ورد في بيان نويهض الحوت: **فلسطين القضية، الشعب، الحضارة**، ص232).

اليهود، وكانت الهجرة هذه المرة إلى فلسطين وإلى الولايات المتحدة الأمريكية، فكانوا نواة الصهيونية في فلسطين ونواة الجالية اليهودية الكبيرة في الولايات المتحدة.[1]

وقد عبر كاتب صهيوني عن فرحه بهذه المذابح في عام 1942 قائلاً: "سنة 1881!، ما أشد هول هذه السنة على الناس الذين عاشوها، لكن ما كان أرحمها وأكرمها من سنة على قدر اليهود: ميلاد الصهيونية والهجرة الجماعية إلى أمريكا، ونهاية التحرر، وبزوغ فجر الاعتماد على الذات، ترى كيف يمكن لعالمنا اليهودي أن يبدو من غير فلسطين ومن غير أمريكا."[2]

وبقيام الثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر، شهدت أوربا حدثاً تاريخياً كبيراً، أدى إلى رفع الظلم والاضطهاد عن اليهود قانونياً واجتماعياً وسياسياً وتحقيق المساواة، حيث منحت فرنسا اليهود حقوقهم المدنية كاملة في عام 1791، وفي عام 1830 أقرت فرنسا المساواة بين الأديان، مساوية بذلك بين الديانة اليهودية والمسيحية.[3]

العوامل المهدة لقيام الصهيونية:

1- صعود القوميات:

لقد ساهم نابليون وجيشه في نشر مبادئ الثورة الفرنسية في الحرية والإخاء والمساواة، وكذلك في الفكرة القومية، لا في أوربا وحدها ولكن في العالم أجمع، وبحلول عام 1825 كانت أمريكا الجنوبية اللاتينية قد تحررت، افتتحت بتحريرها السجل القومي في القرن التاسع عشر، وعندما اصبح التهافت الاستعماري شديداً في منتصف القرن التاسع عشر على ممتلكات الدولة العثمانية، كانت فلسطين محط أنظار الدول الكبرى، وكان اليهود قد امتطوا عصر القوميات وادعوا أنهم يشكلون قومية، وأول من ربط فكرة الصهيونية بالديانة اليهودية القومية هو "موزس هس" أحد أقدم

---

(1) Jermiah Ben-Jacob: **The Jewish Struggle**, London George Allen and Unwin, 1942 PP. 53-59.

(ورد في بيان نويهض الحوت: **فلسطين القضية، الشعب، الحضارة**، ص232).

(2) المرجع السابق، ص59.

(3) صبري جريس: **تاريخ الصهيونية، (1862 – 1917)**، ص25.

المفكرين الصهاينة، في كتابه "رومة والقدس" الذي صدر في عام 1862 قائلاً: "إن الديانة اليهودية... مرتبطة عضوياً بالقومية اليهودية، والديانة اليهودية هي قبل كل شيء قوميه."[1] ويقول أيضاً "الديانة اليهودية أساساً وطنية يهودية."[2] وقال: "واليهودي الذي لا يؤمن بالبعث القومي لشعبه يعمل على تصفية شعبه."[3] ويقول العالم الشهير "ألبرت اينشتاين": "تنبع الصهيونية من دافع أعمق... وتمتد جذورها إلي تقليد روحي يمثل الحفاظ عليه وتطويره مبرر استمرار اليهود كجماعة... وإعادة بناء الأمة اليهودية."[4] ومثلما قال هرتزل: نعتبر أنفسنا أمة على أساس معتقدنا الديني."[5] وكثيرة أقوال المفكرين الصهاينة في هذا الجانب وزعاماتهم، ولكن عصر القوميات الأوربي فتح أبواباً عريضة تم استغلالها من قبل الصهيونية.

2- الصهيونية المسيحية: البروتستانتية:

يستند الفكر المسيحي الصهيوني إلى عقيدة عودة المسيح المخلص في آخر الأيام ليحكم العالم لمدة ألف عام يسود فيها العدل والسلام، ويرى معتقدو هذا الفكر أنه لن يتحقق الخلاص ولن يتم إلا بعودة اليهود إلى فلسطين، وقد تمكن الصهاينة المسيحيون من تحويل فكرة الاسترجاع أو العودة إلى فكرة سياسة استيطانية يعود فيها اليهود إلى فلسطين.[6] وكان قيام حركة الإصلاح الديني علي يد "مارتن لوثر وجون كالفن" والتي لا ينتمي أصحابها إلى الكنائس الكاثوليكية أو إلى الكنائس الشرقية، أصبحت العودة إلى التوراة أساساً لهذه الحركة الإصلاحية التي هي في جوهرها حركة تحريرية. ومع انبعاث التاريخ القديم في التوراة في المدارس، تحولت فلسطين في الضمير البروتستانتي من الأرض المقدسة للمسيحيين إلى أرض الشعب المختار. وقد أدى ظهور حركة "البيوريتانية" أو حركة التطهر في

(1) موزس هس: **رومه والقدس**، نيويورك، 1958، ص19 (ورد في ج.هـ. جانس، **الصهيونية وإسرائيل وآسيا**، ص28).
(2) المصدر السابق، ص28.
(3) المصدر السابق، ص58.
(4) ألبرت اينشتاين: **حول الصهيونية**، لندن، 1930، ص56 – 58 (ورد في ج. هـ. جانسون: **الصهيونية وإسرائيل وآسيا**، ص28).
(5) ج. هـ. جانسون: **الصهيونية وإسرائيل وآسيا**، ص29.
(6) د. عبد الوهاب المسيري: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ص237.

بريطانيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر إلى المزيد بالالتصاق باليهود، وتحويل المبادئ الدينية إلى مبادئ سياسية وأهمها فكرة عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين.[1]

ظهور حركة العودة البروتستانتية:

أدى ظهور هذه الحركة في بريطانيا من البيوريتانيين إلى تقديم أول عريضة سنة 1649 تطالب بعودة اليهود بصورة عملية إلى أرض أجدادهم، امتدت حملة العرائض إلى دول أوربية أخري مثل النمسا والدنمارك وإرسال مذكرات إلي ملوك أوربا.[2]

ولقد حمل القرن التاسع عشر تطوراً بارزاً في طبيعة حركة العودة حيث أصبحت فكرة العودة ركنا أساسياً في العقيدة البروتستانتية. وفي عام 1845 تقدم "موردخاي نواه"[3] بمشروع لعودة اليهود إلى فلسطين، واحتل المشروع الصدارة في نيويورك، وأيده الرئيس الأمريكي "جون آدمز."[4] وفي عام 1839، نشرت في بريطانيا مقالات تدعو إلى إنشاء دولة مستقلة في فلسطين، وقد أيد اللورد "بالمرستون" وزير الخارجية آنذاك هذه الدعوات،[5] وتشابهت الدعوات وكثرت مصادرها من رواد الفكر والصحافة والفنون، والرواية، ومن المستكشفين والجغرافيين والسياسيين

---

(1) بيان نويهض الحوت: **فلسطين القضية، الشعب**، الحضارة، ص266.

(2)Yona Malachy, "**Restoraion Movement**." Encyclopedia of Zionism and Israel, Vol. II P. 948.

(ورد في بيان نويهض الحوت: **فلسطين القضية، الشعب، الحضارة**، ص293).

(3) Yona Malachy, "**Restoraion Movement**." Encyclopedia of Zionism and Israel, Vol.II, P. 948.

(ورد في بيان نويهض الحوت: **فلسطين القضية، الشعب، الحضارة**، ص293).

(4) Alber Hyamson: **British Projects for the Restoration of Jews From Publications Publications of Jewish Historical Society**, No 26, 1918, PP. 129-130.

(ورد في بيان نويهض: **فلسطين القضية، الشعب، الحضارة**، ص294).

(5) Yona Malachy, "**Restoration Movement**." Encyclopedia of Zionism and Israel, P. 948

والعلماء، لقد حملت المسيحية البروتستانتية رأي عودة اليهود قبل أن يحملها رواد اليهود أنفسهم امتدت إلى فرنسا وإيطاليا وغيرهما، في جهد متواصل.

رواد الصهيونية اليهودية الأوائل:

إن الانتقال بالمشروع الصهيوني من الساحة الأوربية ومن مفكريها المسيحيين إلى الساحات اليهودية في أوربا ومفكريها اليهود، لم يكن تلقائياً فبينما كان المشروع الصهيوني المسيحي في مرحلة النضوج، كان المشروع الصهيوني اليهودي في بداياته الأولى. وفي ستينات القرن التاسع عشر كان الرواد اليهود يلتقون حول فكرة أن مستقبل اليهود مرهون بعودته إلى وطنه التاريخي. وهؤلاء كانوا طليعة جيل من أوائل المفكرين الذي اعتنوا بحل المسألة اليهودية وكان من أبرزهم "الكلعي" و "كاليشر" "وهس".

(1) يهودا الكلعي (1798-1878):

والكلعي كان أول الداعين إلى إحياء اللغة العبرية، وإقامة المستعمرات اليهودية في فلسطين،وكان برنامجه هو "الخلاص الذاتي" لتحقيق العودة الجماعية إلي فلسطين وأن النشاط الاستعماري على مستوى البشر سوف يمهد السبيل إلى مجيء المسيح المنتظر.[1]

(2) "تسفى هيرش كاليشر" (1795-1874):

وكاليشر حاخام بولوني، دعا في كتابه "مطلب صهيون" سنة 1862 إلي إنشاء المستعمرات الزراعية في فلسطين وإسكان الفقراء من يهود أوربا الشرقية ونجح في حث اليهود علي التحرك لشراء الأراضي في ضواحي مدينة يافا عام 1866 وتأسيس المدرسة الزراعية في يافا عام

---

(1) Arthur Hertz Berg. ed. **The Zionism Idea**, **A Historical Analysis and Reader**, New York, Double day and Company and Heiz I press, 1959, P. 103.

(ورد في وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني: **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، ص53، وكذلك أنظر: عبدالوهاب المسيري: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ص89).

1870. كما أنه يرى أن خلاص اليهود لن يتحقق علي يد مسيحي منتظر، وإنما عن طريق العمل في الأرض.[1]

(3) "**موزس هس**" (1812-1875):

وهو مفكر ألماني نادى بالأفكار التي نادي بها الحاخام "كاليشر" وأصدر كتابه "رومة والقدس" عام 1862 وقد أرسى دعائم القومية اليهودية على الدين والعرق اليهودي، ويعتبر "هس" الأب الحقيقي للقومية اليهودية والدعوة الصهيونية الحديثة. وقد أعلن "هرتزل" عن رأيه في كتابين "هس" فقال: "بأن كل ما حاولناه يمكن العثور عليه في آثاره."[2]

وكان هناك غيرهم من أمثال "بيرتز سمولنسكين" (1843-1885) الذي كان يدعو للمحافظة على القومية اليهودية في المهجر. "وموشيه ليلنبلوم" (1843-1910) والذي أصدر كتاباً بعنوان: "بعث الشعب اليهودي في أرض أجداده المقدسة."[3] وكانت هذه الكتابات مقدمة لميلاد الصهيونية السياسية.

ورغم أن هذه الدعوات كانت واضحة تماماً إلا أن الحقيقة كما كان يراها بعض هؤلاء المفكرين تثير فيهم التردد كذلك، ويعتبرون أن حماس اليهود كان فاتراً منذ البداية لإنشاء الوطن وهذا ما كتبه "برتيز سمولنسكين": "... ولكن الأمر ظل مجرد حلم لقلة الذين أيدوا المشروع بينما إعتور السلبية بقية اليهود."[4]

ويؤكد "يهودا ليب بنسكر" أن حمل فكرة الهجرة بطريق غير شرعي وبالتالي كان الاستيلاء قسرياً ولم يتقبله اليهود: "الحالة المرضية التي يعاني منها اليهود ناجمة عن فقدان الرغبة في الاستقلال القومي لنا من الواجب إثارة هذه الرغبة، أي من الضروري أن نبرهن لهم أنه يتوجب عليهم أن يصبحوا

---

(1) المصدر السابق، ص104 وكذلك أنظر، د.جورج كنعان: **سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية**، الطبعة الأولي،بيروت، 1980، ص100.

(2) Meses Hess, **Rome and Jerusalem**, and ed. by Maurice J. Blom, New York, Philosophical Libray, 1958.

(3) جورج كنعان: **سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية**، ص100 - 103.

(4) إبراهيم أرتسبوغ: **الفكرة الصهيونية**، النصالعبري، ص109 (ورد في جودت السعد: **الشخصية اليهودية عبر التاريخ**، ص118).

أمة.[1] ورغم كل هذه الأقوال يردد "بنسكر" لفظة الأمة رغم قوله: "الأمة اليهودية تفتقر إلى مكوناتها الأساسية فهي تفتقر إلى اللغة والعادات المشتركة والأرض."[2] ثم يعلن رأيه بوضوح قاطع يمتلئ بالمرارة فيقول: إننا في الواقع لسنا أمة إنما نحن يهود فقط. إننا قطيع منتشر في أرجاء المعمورة دونما راع يحمينا ويجمعنا." وهكذا رأى أيضاً "آحادهاعام" معلناً: "الحقيقة مره، لكن مرارتها أفضل من التضليل، يجب أن نكون صادقين مع أنفسنا ونعترف أن تجميع الشتات بطريقة طبيعية غير ممكن،ربما استطعنا يوماً ما تأسيس دولة يهودية... ومع ذلك سيظل شعبنا متفرقاً... إن جمع المتفرقين من أطراف الأرض الأربعة شيء مستحيل..."[3] ظل اليهود طيلة قرن تقريباً لا يعرفون بالضبط ماذا يريدون، أدولة أم كياناً سياسياً مستقلاً، أم مجرد ارض وأي ارض؟ وهل هذه الأرض فلسطين أم الأرجنتين أم يوغندا أم قبرص، وظلوا مع هذه الأفكار "حتى أثيرت في إنجلترا مسألة أرض اليهود بعد الاضطرابات التي وقعت في مصر وسوريا، ولاقت الأفكار التي أطلقها "موشي مونتيفورى صداها." ووجهت بريطانيا الأنظار إلى فلسطين."[4] إنه لمن الحقائق الثابتة تاريخياً أن جهود الصهيونية غير اليهودية ظلت الدافع والمحرك للجهد الصهيوني اليهودي.

بداية التحول في تاريخ الصهيونية:

بدأت الفكرة الصهيونية تظهر في صفوف يهود شرق أوربا عندما تعرضوا للاضطهاد وبعد مقتل القيصر "الكسندر الثاني" في آذار/ مارس 1881، على يد نفر من القوميين الروس، وكان من بينهم بعض المثقفين اليهود. وكان من أوائل الدعاة لهذه الفكرة الصهيونية اليهودية الطبيب الروسي "يهودا ليوبنسكر" الذي كان من دعاة الاندماج في المجتمع الروسي، وعندما وقعت أحداث 1881 تزعزع إيمانه بالاندماج وكتب كراسته الشهيرة "الانعتاق الذاتي" التي صدرت بالألمانية عام 1882،

(1) المرجع السابق، ص136.

(2) المرجع السابق، ص137.

(3) المرجع السابق، ص203.

(4) اسحق جرنفيم: **الحركة الصهيونية**، ص5 (ورد في جودت السعد: **الشخصية اليهودية**، ص120).

وكانت جوهرة المشكلة التي طرحها هي أن "اليهود الذين يسكنون بين الأمم المختلفة، يكونون عنصراً لا يمكن أن يذوب فيها ولا يمكن لها أن تهضمه."[1] هذا بالإضافة أنه لا وطن لهم ولا حكومة تمثلهم.

ويعتبر ليوبنسكر أن الحل في نقل الفائض اليهودي[2]، وقد نشأت جمعيات كثيرة تهدف إلى وضع أفكار "ليوبنسكر" موضع التنفيذ. وكان الحاخام "موهيلفر" (1824- 1898) إلى تأسيس أول جمعية لأحباء صهيون في عام 1882، وسرعان ما انتشرت جمعيات مماثلة في جميع المدن الروسية، ثم انتقلت هذه الدعوة من روسيا إلى رومانيا وألمانيا والنمسا وبريطانيا والولايات المتحدة. وحملت هذه الجمعيات أسماء كثيرة مثل: "حب صهيون"، البيلو، وقديما، وبنى موسى، والسرية، وكان أهم هذه الجمعيات جمعية "زربابل" في "أوديسا" والتي ترأسها بنسكر، وتلخصت أهداف هذه الجمعيات في تحقيق استعمار فلسطين، ونشر الفكرة القومية بين اليهود وتعزيزها، ورفع شأن اللغة العبرية وقد قام أتباع هذه الجمعيات بأولى المحاولات الصهيونية لتوطين فائض يهود شرق أوربا في فلسطين، وعقدت هذه الجمعيات مؤتمرها الأول 1884، وألقى بنسكر خطاب الافتتاح[3]، وكان أهم إنجاز لهذا المؤتمر هو توحيد جميع الهيئات والمنظمات القائمة تحت سقف واحد. وعقد المؤتمر الثاني عام1887، وصارت تعرف هذه الحركة بعد مؤتمرها الثاني بـ "حركة أحباء صهيون". وعقد المؤتمر الثالث في عام 1889، والمؤتمر الرابع في 1890، ووافقت السلطات الروسية على الترخيص القانوني لهذه الحركة، وعلى الرغم من صهيونية ما قبل "هرتزل" اكتشفت ملامح الحل الصهيوني ولكن هذه الحركة لم تستطع أن تحقق الكثير وخاصة أنهم كانوا يدعون للاعتماد على الذات فقط، وتصوروا أن في مقدورهم ذلك وغفلوا عن أهم الحقائق في أواخر القرن التاسع عشر، وهي الإمبريالية الغربية[4] والتي لا يمكن لهم أن

---

(1) أنيس صايغ (اشراف): **الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية**، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ص81-82.

(2) المرجع السابق، ص91. وللمزيد أنظر، صبري جريس: **تاريخ الصهيونية (1862 – 1917)**، ص102 – 103.

(3) Vital. David, **The Origins of Zionism**, The Clarendon Press, 1975, P. 160-165.

(ورد في عبد الوهاب المسيري: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ص255).

وللمزيد أنظر:

Moses Hess, **Rome and Jerusalem**.

(ورد في وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني: **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، ص54 – 55).

(4) عبد الوهاب المسيري: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، المجلد السادس، ص260.

يحققوا النجاح بدونها. ومن الثابت تاريخياً أن ظهور الحركة الصهيونية قد ترافق "مع بروز مدرسة سياسية متكاملة تدعو لاستيطان اليهود في فلسطين كأفضل طريقة لحماية قناة السويس، وهي مدرسة مانشستر التي خرجت "حاييم وايزمن..." وقد أشار ماكس نوردو زميل هيرتزل وأحد مؤسسي الحركة الصهيونية إلي طبيعة العلاقة التي تربط الصهيونية ببريطانيا، ودور الصهيونية في خدمة بريطانيا حيث قال للبريطانيين في احتفال وعد بلفور: "إننا نعرف ما تريدونه منا... تريدون أن نحمي طرق مواصلاتكم ونحن مستعدون لذلك. ويجب إعطاؤنا القوة اللازمة لذلك."[1] وقد حدد "هرتزل" الوظيفة الاستعمارية للدولة القادمة حيث قال: "فنحن هنا نؤلف جزءاً من الاستحكام الأوربي ضد آسيا، وستكون قاعدة أمامية للحضارة الأوربية لمقاومة الهمجية."[2]

وهذا ما ميز دعوة هرتزل عن دعوة بنسكر إلى التحرر والتجمع حيث يقوم في مقام الأول على الحصول على وعد دولي بإعطاء اليهود أرضاً لبناء الدولة، ولهذا يعتبر هرتزل همزة الوصل بين رواد الصهيونية في منتصف القرن التاسع عشر وروادها فيما بعد كما أنه كذلك همزة الوصل الحقيقية بين الصهيونية غير اليهودية والصهيونية اليهودية.

الصهيونية الهرتزلية (1895-1905):

أصدر "تيودور هرتزل" كتاب الدولة اليهودية سنة 1896 واصفاً هذا الكراس بأنه "محاولة لإيجاد حل عصري للمسألة اليهودية" وأن الفكرة التي عالجها "فكرة قديمة جداً"، إعادة بناء الدولة اليهودية."[3]

---

(1) حبيب قهوجي (إشراف): **الأحزاب الإسرائيلية والحركات السياسية في الكيان الصهيوني**، مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولي، دمشق، 1986، ص14.

(2) Theodor Herzl: **The Jewish State**, **An Attempt at a Modern Solution of Jewish Question**, P. 30.

(ورد في بيان نويهض الحوت: **فلسطين القضية، الشعب الحضارة**، ص345).

(3) Nahum Sokolow,"**History of Zionism**", Vol.2, London1919, P.307.

(ورد في بيان نويهض الحوت: **فلسطين القضية، الشعب الحضارة**، ص59).

وكان لكتابه أثره الفاعل في حياة اليهود. والأفكار الأساسية في هذا الكتاب تعتمد على أن المسألة اليهودية هي مسألة قومية، وأن المسألة القومية يجب جعلها قضية سياسية، والوحدة التاريخية للشعب اليهودي حقيقية، كان يرى ضرورة استمالة الدول الكبرى لكي تضغط على الدولة العثمانية لمنح الصهيونيين ميثاقاً يتيح إقامتهم في فلسطين علي أنهم كيان يهودي له استقلاله الذاتي، مما جعل صهيونية "هرتزل" توصف بـ "الصهيونية السياسية."[1] وكان "هرتزل" يرى أن الحل يأتي كلما استفحلت معاداة السامية لتصبح المحرك الأول والدافع وكان يقول: "نحن يجب أن نغرق أكثر، وأن نحتقر أكثر، وأن يبصق علينا وأن يستهزأ بنا، وأن نضرب وأن نسرق، وأن نذبح قبل أن نصبح ناضجين للفكرة الصهيونية."[2]

والصهيونية السياسية اصطلاح مرادف للصهيونية الدبلوماسية (الاستعمارية) حيث لم تكن تدرك قيادات الصهيونية في مرحلة ما قبل "هرتزل" ضرورة وحتمية الاعتماد على الإمبريالية لوضع المشروع الصهيوني موضع التطبيق، أما "هرتزل" فقد أدرك حتمية الاعتماد على الإمبريالية منذ البداية. وعلى كل حال فقد اختفت الصهيونية السياسية أو الدبلوماسية بعد صدور "وعد بلفور" حيث لم يعد لها لزوم عندما تحقق هذا المطلب."[3]

وفي 29 آب/ أغسطس 1897 عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل بسويسرا وحضره نحو 197 مندوباً عن مختلف الهيئات والمنظمات والجمعيات الصهيونية في العالم، وانتخب تيودور هرتزل رئيساً له. ولقد حدد برنامج بازل هدف الصهيونية بأنه: "خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام."

---

(1) شمويل أتنجر: **الشعب اليهودي وأرض إسرائيل**، من المفكر الصهيوني المعاصر، سلسلة كتب فلسطينية رقم 11 (مجموعة كتاب 22 كاتباً يهودياً)، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، 1968، ص29.

(2) Elmer Berger, **Israels Threat to Judaism Zionism**, **V**. **Judaism Christanity**, **Islam**, Dublin Irish Arab Socitey, 1970, P.4.

(ورد في بيان نويهض الحوت: **فلسطين القضية، الشعب الحضارة**، ص343).

(3) عبد الوهاب المسيري: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ص245.

أما الوسيلة الكفيلة بتحقيق الغاية الصهيونية فهي: (1) العمل لاستعمار فلسطين بالعمال الزراعيين والصناعيين اليهود وفق أسس ملائمة. (2) تنظيم اليهودية العالمية وربطها بمنظمات محلية ودولية. (3) تقوية المشاعر اليهودية والوعي القومي اليهودي وتغذيتها.(4) اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على الموافقة الضرورية لتحقيق هدف الصهيونية."[1] وهكذا أصبحت الحركة الصهيونية الحكومة التي راحت تبحث عن دولة يهودية. فاللجنة التنفيذية الصهيونية كانت تلك الحكومة، والمؤتمر الصهيوني كان المجلس النيابي، ولا شك أن مدة العشرين عاماً التي تفصل برنامج بازل عن صدور وعد بلفور تمثل في تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة عملية البحث عن اعتراف دولي بالأهداف والمطالب الأساسية.

وقد عقد المؤتمر الصهيوني في بازل عام 1897 في ظل شعار أطلقه "هرتزل" عن "اكتساب الجماعات اليهودية وقرر المؤتمر السماح لكل 400 يهودي يدفعوا الضريبة أن يرسلوا مندوباً عنهم، وقرر المؤتمر تأسيس المصرف اليهودي الاستعماري. وتوالت المؤتمرات الصهيونية فعقد المؤتمر الصهيوني الثالث في بازل 1899 وتم فيه تأسيس المصرف اليهودي الاستعماري تحت اسم صندوق الائتمان اليهودي بغية تمويل النشاطات الاستيطانية في فلسطين. أما المؤتمر الرابع فقد عقد في لندن عام 1900 بحضور ما يزيد عن 400 عضو وقد اشتد في هذا المؤتمر النزاع حول المسألة الثقافية بين اليهود الأرثوذكس المتدينين و بين دعاة الاتجاه العلماني مما اضطر هرتزل إلي مناشدة الطرفين إلى الالتفات إلى الأهداف المشتركة. وعقد المؤتمر الصهيوني الخامس في بازل عام 1901 الذي ظهرت فيه المعارضة داخل الحركة الصهيونية على صورة "الجناح الديمقراطي" الذي تزعمه حاييم وايزمن، وتقرر فيه عقد المؤتمر الصهيوني مرة كل عامين واتخذ المؤتمر قراراً بوجوب استخدام الأموال المتوفرة في الصندوق القومي اليهودي لغاية واحدة هي شراء الأرض في فلسطين.[2] وعقد المؤتمر الصهيوني السادس في

---

(1) Max Nordaus: **Zionistishe Schriflen**, **Hrsg**., **Vom Zionistschen Aktions – Komitte**, Kohn Und Leipzig, Judisher Verlag, 1909, P.29.

(ورد في وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني: **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، ص65).

(2) **The Jewish Encyclopedia**, Vol XII,1905, P.678.

(ورد في وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني: **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، ص66).

بـازل عـام 1903 وجـرى البحـث في العـرض المقـدم مـن الحكومـة البريطانيـة باسـتعمار يوغنـدا أو العريش.[1]

وقبل أن يحل موعد المؤتمر السابع كان "هرتزل" قد توفي 7تموز/ يوليو 1904. واختصر "مارفن لوونتال" أهمية هرتزل بقوله: "إن هرتزل وضع الصهيونية على الخريطة، وهو بإنشاء المنظمة الصهيونية، أعطى الشعب اليهودي عنواناً."[2]

القيادة الصهيونية بعد هرتزل (1904ـ1917):

كانت العقبة الأولى بعد وفاة "هرتزل" تدور حول اختيار خليفة له. وكان هناك الصهاينة الروس (العمليون) بزعامة "مناحيم أوسشكين" أقوى المعارضين لدبلوماسية هيرتزل العلنية والسرية، وكانوا يرون أفضلية التوجه نحو السياسة العملية وعدم إضاعة الوقت في مفاوضات قبل الأوان.[3] وكان في المقابل الصهاينة الغربيين ويرون أن القيادة يجب أن تكون في يدهم لقدرتهم في إنضاج العلاقة مع الغرب. وكان من الطبيعي أن يرث في المؤتمر السابع الزعامة "ماكس نوردو" وهو الوارث الطبيعي لهرتزل، غير أن نوردو" هو الذي تخلى عن الرئاسة.[4] وتمت التسوية بين أنصار الصهيونية السياسية و أنصار الصهيونية العملية بأن جاءت القيادة من ستة أعضاء نصفها من "السياسيين" ونصفها من

---

(1) Howard M. Sachar, **A History of Israel**, **From The Rise of Zionism To our Time**, New York, Alfred A. Knoph, 1982, P.60.

(ورد في بيان نويهض الحوت: **فلسطين القضية، الشعب الحضارة**، ص368).

(2) المرجع السابق، ص64.

(3) **Walter Laquer**, **A History of Zionism**, PP. 136-137.

(4) **Encyclopedia**, **Judaica**, **Jerusalem**, Ketter Publishing House, 1972, P. 1073 (Vol. 16).

(ورد في بيان نويهض الحوت: **فلسطين القضية، الشعب الحضارة**، ص373).

openkandil.com

"العمليين" برئاسة "وولفسون"، وكان "وولفسون" من أنصار هرتزل.[1] وكان يعمل جاهداً لتقليده وكان هرتزل مثله الأعلى، إلا أنه كان يفتقر إلى شخصية هرتزل وإلي قدراته التنظيمية."[2]

الصهيونية العملية وصدور تصريح بلفور (1907- 1917):

لم يتمكن المؤتمر الصهيوني السابع والذي عقد في بازل 1903 من حسم الخلافات بين التيار الصهيوني السياسي والتيار الصهيوني العملي، واستمر الخلاف بين الفريقين، ولم تخف حدة النزاع إلا بعد استقالة "وولفسون" من الرئاسة سنة 1911 في المؤتمر العاشر الذي عقد في بازل، وجاء البروفيسور "واربورغ" ومؤيديه لاحتلال المراكز الحساسة في الحركة تحت شعار الصهيونية "التوفيقية" وهي الصهيونية التي تجمع بين التوجه الدبلوماسي للحصول على براءة الاستيطان في فلسطين وبين الجهد الاستيطاني وتطوير الاثنية اليهودية، والصهيونية التوفيقية كانت هي الحل الوسط بين الخلافات التي استحكمت في أربعة مؤتمرات متوالية اعتباراً من المؤتمر السابع وحتى المؤتمر العاشر.

أخذ نجم "حاييم وايزمن" في الصعود، ليجد في الحكومة البريطانية خير حليف واجتمع بالعديد من المسئولين البريطانيين الذين أعربوا عن استعدادهم لتأييد مطلب الصهيونية حتى تتحقق أهداف الحرب الرامية إلى تجزئة الإمبراطورية العثمانية. وخلاصة سياسة "وايزمن" كانت للعمل على انتصار الحلفاء في الحرب ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني بعد أن تتم السيطرة علي مقدرات فلسطين.[3]

ومنذ خطاب وايزمن في المؤتمر الثامن الذي عقد في لاهاي 1907 والذي تبني فيه "الصهيونية التوفيقية"، ظلت هذه السياسة هي الإطار التي تحركت فيه الصهيونية، وباشرت المنظمة

---

(1) **Walter Laquer**, **A History of Zionism**, P. 138.

(2) Chaim Weizmann, **Trail and Error**, 4th Impression, London, Hamish Hamilton, 1950, P. 146.

(ورد في بيان نويهض الحوت: **فلسطين القضية، الشعب الحضارة**، ص 373).

(3) Alan Taylor: **Provide to Israel**, **An Analysis of Zionist Diplomacy**, London, 1959, P. 12.

(ورد في وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني: **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، ص71).

النشاط الاستعماري وعمليات الاستيطان على نطاق واسع ومنظم وهو ما أعتبره "العمليين" مكاسب حقيقية لهم. كما واصلت المنظمة الصهيونية جهودها للحصول على البراءة من بريطانيا وأسفرت هذه الجهود المشتركة إلى صدور وعد بلفور في 2 تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1917. و أنتخب وايزمن رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية عام 1921 في المؤتمر الصهيوني الثاني عشر الذي حضره 540 مندوباً يمثلون ثلاثة أرباع مليون يهودي مشترك في الصهيونية، وعقد في كارلسباد في أيلول/ سبتمبر 1921.

حكومة صهيونية في فلسطين في طور التكوين: (1918-1921)

لم يمض سوى ستة أشهر على وعد بلفور حتى كانت لجنة صهيونية في طريقها إلى فلسطين في نيسان/ أبريل 1918 برئاسة وايزمن وعضوية ممثلين عن يهود أوربا، ولتقوم هذه اللجنة بتمثيل المنظمة الصهيونية العالمية في فلسطين وتعمل بين اليهود في فلسطين والسلطات العسكرية البريطانية، وإعداد الخطط العملية وفقاً "لروح تصريح بلفور."[1] وكانت بمثابة حكومة صهيونية في طور التكوين.

وانعقد مؤتمر سان ريمو في التاسع من أبريل/ نيسان 1920 ليجعل فلسطين والعراق من نصيب الانتداب البريطاني، ودعا وايزمن إلى مؤتمر صهيوني استثنائي يعقد في لندن، وتم عقد المؤتمر بحضور العديد من زعامات الحركة الصهيونية في مطلع تموز1920، وأعرب الصهاينة في هذا المؤتمر عن مشاعرهم إزاء معاهدة "سان ريمو" التي حققت أمانيهم بالاعتراف بالوطن القومي لهم. أعلن "براند يس": "لقد تم إنجاز العمل العظيم الذي بدأه هرتزل في "سان ريمو" وتكللت الجهود الرامية إلى الحصول على اعتراف بالوطن اليهودي في فلسطين... بالنجاح."[2] وهكذا راح "ناحوم سوكولوف" يردد وسط الحماسة التي استولت على اليهود: إن صفحة السياسة قد انطوت عملياً وبدأت صفحة

---

(1) Chaim Weizmann, **Trail and Error**. P. 202.

(ورد في وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني: **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، ص75).

(2) Esco Foundation for Palestine, **Palestine**, **A study of Jewish**, **Arab and British Policies**, Vol. I, New Haven. Yale Universty Press, 1947, PP. 152-153.

(ورد في وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني: **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، ص75).

جديدة الآن هي صفحة أمانينا، فالصفحة الأولي لن نكتبها نحن بل أولئك الذين كانت بيدهم زمام الأمر لفتح أبواب البلد، أما الصفحة الثالثة فلن يكتبها أحد سوانا."[1]

وفي العاشر من أغسطس 1920 وقع الأتراك معاهدة الصلح مع الحلفاء "معاهدة سيفر" وتنص على مطلبين للحركة الصهيونية وهما أن يعهد بإدارة فلسطين إلى دولة منتدبة، وأن تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن تنفيذ "وعد بلفور" كما شهدت هذه الفترة الاتفاق بين بريطانيا وفرنسا على تعيين حدود فلسطين.

أقر مجلس عصبة الأمم مشروع صك الانتداب على فلسطين.في اليوم الرابع والعشرين من شهر تموز/ يوليو1922 ونص على قيام وكالة يهودية وخولها سلطة القيام بتنفيذ المشاريع العامة والإشراف على عملية الإنماء القومي.

كان لابد من بيان العلاقة بين المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية، ومدى ملائمة دستور المنظمة الصهيونية العالمية، ولهذا عقد المؤتمر الصهيوني الثالث عشر في كارلسباد عام 1923م لمناقشة الاقتراح الرامي إلى توسيع الوكالة اليهودية، لتضم إلى مجلسها الأعلى ولجانها عدد من اليهود البارزين في العالم ومن غير الصهيونيين بالذات. وكان "وايزمن" متحمساً للتوزيع ويصر عليه، ويرى فيه فائدة للحركة الصهيونية.[2]

واشتدت المعارضة الصهيونية لعملية توسيع الوكالة في المؤتمر الصهيوني الرابع الذي عقد في فينا 1925، وتزعم المعارضة "فلاديمير جابونتسكى" وجاء المؤتمر الخامس عشر في بازل عام 1927 ليستمع إلى تقرير عن المفاوضات بين الزعامات الصهيونية مع غير الصهيونية حول توسيع الوكالة، لكن المعارضة ازدادت حدة. وفي المؤتمر الصهيوني السادس عشر الذي عقد في زيوريخ 1929 تم

---

(1) Anna Max Nordau, Max Nordau, **A Biography**, New York 1943, PP. 280-181.

(ورد في وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني: **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، ص77) وللمزيد أنظر عبد الوهاب المسيري: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ص254. وكذلك انظر، د.حامد ربيع: **من يحكم تل أبيب**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الأولي، بيروت، 1975، ص235. وكذلك أنظر أنيس صايغ: **الهاشميون وقضية فلسطين**، ص111.

(2) حاييم وايزمن: **التجربة والخطأ**، سيرة حاييم وايزمن نيويورك، هاربراند برذرز، 1949، ص304 – 378.

لوايزمن ومؤيدوه توسيع الوكالة.[1] إلا أن المعارضة ظلت على موقفها وفي المؤتمر الصهيوني السابع عشر الذي عقد في بازل 1931 تغلبت المعارضة على "وايزمن" فقدم استقالته من رئاسة المنظمة، فجرى إنتخاب "سوكولوف" رئيساً لها.

الصهيونية التصحيحية:

وتسمي التنقيحية وهى صهيونية "جابوتنسكي" الذي ظهر داخل المنظمة الصهيونية عام 1923 بهدف تصحيح السياسية الصهيونية، وهذا التيار أساساً من شرق أوربا، ونادى برنامجها بإنشاء دولة صهيونية على ضفتي نهر الأردن ورفع القيود عن الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، ومصادرة جميع الأراضي المزروعة والعامة في فلسطين، وتأجيل الصراع الطبقي، وسحق التمرد العربي دون اللجوء إلى بريطانيا، وإنشاء وحدات عسكرية، وفي عام 1935 انفصل التصحيحيون عن المنظمة الأم وأسسوا "المنظمة الصهيونية الجديدة"، ولعبت المنظمة دوراً هاماً في تأسيس المنظمات العسكرية."[2] وانقسمت الحركة التصحيحية على نفسها في المؤتمر الصهيوني الثامن عشر الذي عقد في براغ عام 1933، وخرج الجناح الديمقراطي منه، ولهذا شهد المؤتمر التاسع عشر الذي عقد في لوسيرن 1935غياب التصحيحيين عن المنظمة الصهيونية الأم لكي يشكلوا "المنظمة الصهيونية الجديدة." وقرر المؤتمر إعادة وايزمن إلى رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية.

ويمكن لنا أن نبين الغرض الأساس للحركة الصهيونية بصفة عامة طوال تلك الفترة السابقة بأنه كان السعي الدائم والمستمر لجمع اكبر عدد من اليهود في العالم، وتجمعهم في فلسطين لتتم عملية انقلاب ديمقراطي لحل اليهود محل أهل البلاد، فالهجرة اليهودية إلى فلسطين كان لها الجهد الأوفى والأهم في عمل الصهيونية العالمية، وقد رصد لها القدر الأكبر من الأقوال، بل كانت الهجرة هي المحور الأساس الذي تدور حوله المؤتمرات الصهيونية.

---

(1) **Constitution of the Jewish Agency for Palestine London**, office of the Jewish Ageney, 1929, P. 4-5.

(2) عبد الوهاب المسيري: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ص256 - 257.

وتدفقت الهجرة في خمس مراحل إلى فلسطين ابتداء من ثمانينات القرن التاسع عشر، وانتهاء برحيل بريطانيا عن فلسطين عام 1948، ليبلغ عدد اليهود الذين وصلوا إلى فلسطين 483.000 يهودي."[1]

وعندما عقد مؤتمر العشرون في "زيورخ" 1937 وضم نحو500 مندوب يمثلون مليوناً ونصف المليون يهودي، احتفل بمرور 40 عاماً على قيام المؤتمر الصهيوني الأول و أعلن المؤتمر رفضه لمشروع التقسيم الذي تقدمت به لجنة "بيل الملكية" في 7 تموز/ يوليو 1937 وانتخب "بن غوريون" لرئاسة اللجنة التنفيذية.

وحين عقد المؤتمر الواحد والعشرين في جنيف 1939 عشية اندلا ع الحرب العالمية الثانية سارع الصهيونيون إلي إعلان رفضهم للكتاب الأبيض الذي صدر بعد رفض العرب لمشروع التقسيم والذي يجعل الهجرة تتم بموافقة العرب وهم الأغلبية وأصحاب البلد الشرعيين، واعتبر الصهيونيون أن الكتاب الأبيض الذي صدر في عام 1939 لا يتفق مع مواد صك الانتداب."[2] وبهذا المؤتمر تنتهي الفترة الممتدة من تاريخ الصهيونية ما بين وعد بلفور إلي إعلان الكتاب الأبيض عام 1939. وهذه الفترة أطلق عليها بن جوريون اسم الصهيونية السياسية.[3]

---

(1) عبد الرحمن أبو عرفة: **الاستيطان التطبيق العملي للصهيونية**، دار الجليل، عمان، 1981، ص49. وللمزيد أنظر: محمود مبعارى: **دليل إسرائيل العام**، 11 كاتباً ص39 وما بعدها. وكذلك أنظر: عبد الرازق محمد أسود: **الموسوعة الفلسطينية**، ص55 وما بعدها وكذلك انظر، صبري جريس: **تاريخ الصهيونية (1862 – 1917)**، ص77 وما بعدها. وكذلك حسن عبد القادر صالح: **سكان فلسطين**، دار الشروق، الطبعة الأولي، عمان، 1985، ص142، وما بعدها. وخالد القشطيني: **تكوين الصهيونية**، ص93 وما بعدها. وكذلك محمد عبد الرؤوف سليم: **نشاط الوكالة اليهودية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولي، بيروت،1982، ص11. وأنظر كذلك: عبد الوهاب المسيري: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، المجلد السابع، ص59.

(2) Joseph B. Schechtman, **The Vladimir Jabotinsky Story**, New York, 1961, PP. 191-192.

(ورد في وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني: **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، ص88).

(3) David Ben Gurion, **Rebirth and Destiny of Israel**, New York, 1954, PP. 500-501.

(ورد في وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني: **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، ص89).

الصهيونية المقاتلة:

والصهيونية المقاتلة هي الاسم الذي أطلقه بن جوريون نفسه على الفترة الممتدة من صدور الكتاب الأبيض 1939 وحتى قيام دولة إسرائيل عام 1948. ولقد لجأت الحركة الصهيونية في سنوات الحرب العالمية الثانية (1939- 1945) إلى اتباع العنف في مقاومتها لسياسة الكتاب الأبيض الذي قيد الهجرة، كما عكفت على تشكيل الفرق المقاتلة تحت ستار الدفاع عن النفس. وفي الثامن من أيار/ مايو 1942وفي ذكرى مرور خمسة وعشرون سنة على صدور "وعد بلفور"، عقد المؤتمر الصهيوني الاستثنائي في فندق "بلتمور" بنيويورك. وحضره ممثلون عن الهيئات والمنظمات الصهيونية بإضافة إلي زعماء الصهيونية مثل "وايزمن" "وبن غوريون"، وناحوم جولدمان"، وغيرهم واتخذ المؤتمر في جلسته الختامية عدد من القرارات عرفت ببرنامج "بلتمور" وأصبح هذا البرنامج هو السياسة الرسمية للصهيونية وحتى قيام دولة إسرائيل.واهم ما جاء في هذا المؤتمر تحقيق أغراض وعد بلفور، وصك الانتداب، وأكد رفضه القاطع للكتاب الأبيض 1939.[1] كما جاء في هذه القرارات أنه يجب الاعتراف بحقهم في تشكيل قوة عسكرية يهودية وأن المؤتمر تبنى الأهداف الصهيونية الحقيقية التي سبق أن أضمرها كل من بن جوريون وحاييم وايزمن تأكيداً للبرنامج الجديد للسياسة الصهيونية الأساسية في إقامة الدولة اليهودية على أرض فلسطين والمطالبة بتأليف الجيش الصهيوني وترك مسائل الهجرة بيد الوكالة اليهودية."[2]

لقد كان برنامج "بلتمور" في الواقع هو تبنياً لبرنامج التصحيحيين، فما أن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى كانت جميع المنظمات العسكرية والإرهابية الصهيونية تعمل في وحدة واحدة من التنسيق والتخطيط. وقد أكدت الحكومة البريطانية ذلك في البيان الذي أصدرته في تموز/ يوليو 1946 وجاء فيه: "إن الهاجانا وقوة البالماخ التابعة لها تعملان تحت السيطرة السياسية في الوكالة

---

(1) **Zionist Review**, May 22, 1942.

(ورد في وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني: **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، ص92).

(2) **The Jewish Chronicle**, Sept.18. 1942.

(ورد في وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني: **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، ص92).

openkandil.com

اليهودية، وتقومان بأعمال العنف والتخريب التي يخطط لها بدقة بالغة، تحت ستار حركة المقاومة اليهودية. وكذلك يبين البيان: "أن الارغون زفاى ليئومى وجماعة شتيرن يتعاونان منذ خريف 1945 بصورة وثيقة وينفذان العمليات الإرهابية تحت إمرة القيادة العليا للهاجاناه."[1] ثم جاء المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين الذي عقد في بازل عام 1946 فكان المؤتمر الأخير قبل إعلان قيام إسرائيل، وجاءت قراراته السياسية مؤكدة للمطالب التي أعلنت في "برنامج بلتمور."[2] وقامت الصهيونية العالمية بالضغط على الرئيس الأمريكي ترومان ليرفع القيود التي فرضتها بريطانيا على الهجرة اليهودية إلى فلسطين كما جاءت في الكتاب الأبيض عام 1939، وتم تشكيل اللجنة الأمريكية البريطانية المشتركة سنة 1946، وقامت اللجنة في نفس العام بزيارة فلسطين وكانت النتيجة الحاسمة لزيارتها تخلي بريطانيا عن الكتاب الأبيض وسياسة تقنين الهجرة وربطها بموافقة العرب. وكانت الصهيونية قد أعدت مشروعاً لتقسيم فلسطين أبلغته للرئيس الأمريكي "ترومان" الذي ابلغه بدوره لبريطانيا التي وجدت نفسها بعد كل هذا الجهد مع الصهيونية أمام سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الضاغطة قي شأن الرغبات الصهيونية مما حدا ببريطانيا في مطلع 1947 على إحالة القضية الفلسطينية على هيئة الأمم المتحدة، فقد رأت الصهيونية أن رفع الأمر إلى هيئة الأمم المتحدة من شأنه إضفاء طابع الاعتراف الدولي على المكاسب والمطالب الصهيونية.[3]

وعقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 28نيسان/ أبريل 1947 جلستها وجرى انتخاب لجنة التحقيق الدولية التي عرفت بـ "لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين" وانتقلت اللجنة إلى

---

(1) **Statement on Information Relating to Acts of Violence Command Paper**, No. 6873, PP. 61-63.

(2) **A** "**weekly Suarvey of Jewish Affairs**", **Zionist Review**, Vol, VII, No. 2. January 10, 1947.

(ورد في وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني: **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، ص95).

(3) المرجع السابق. وللمزيد أنظر: محمد عزة دروزه: **القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها**، الجزء الثاني، ص115 وما بعدها. وكذلك أنظر: د.عزت طنوس: **الفلسطينيون**، الجزء الأول، ص322 وما بعدها. وكذلك أنظر: طاهر شاش: **المواجهة والسلام**، ص30 وما بعدها. وانظر كذلك: إيفان دونيف: **الصهيونية بلا قناع**، ص53 وما بعدها وكذلك أنظر: د.محمد عبد الرؤوف سليم: **نشاط الوكالة اليهودية**، ص591 وما بعدها.

فلسطين وجاء تقريرها متضمناً توصيات عامة بشأن إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، والتوصية الحاسمة في التقرير كانت بتقسيم فلسطين إلى دولتين حسب مشروع الأكثرية في اللجنة، دولة عربية ودولة يهودية، وصدر قرار التقسيم في 29تشرين الثاني/ نوفمبر 1947، أعلنت بريطانيا عن عزمها على الرحيل وإنهاء الانتداب، وكانت الصهيونية قد أعدت عدتها كاملة لمثل هذا اليوم، وكانت حرب 1948 ودخول الجيوش العربية التي هزمت في تلك الحرب وأعلنت الصهيونية عن قيام دولة إسرائيل في 15مايو/ أيار 1948.

وهكذا أقامت الحركة الصهيونية العالمية دولتها اليهودية في فلسطين واستطاعت الصهيونية المقاتلة أن تحقق الحكم الذي راود تيودور هرتزل قبل خمسين عاماً في كتابه الدولة اليهودية وفي مؤتمر الأول الذي عقده في بازل عام 1897.

obeikandl.com

المبحث الرابع

الدور البريطاني والمقاومة العربية الفلسطينية

منذ بداية القرن التاسع عشر ظهرت فكرة استغلال اليهود كإحدى أدوات التوسع الاستعماري في الوطن العربي. وظهرت هذه الفكرة في وقت واحد تقريباً في كل من فرنسا وبريطانيا. والفكرة تقوم على أساس توطين اليهود في فلسطين لأغراض اقتصادية وسياسية واستعمارية.[1]

كانت بريطانيا اكثر الدول تحمساً لهذه الفكرة حيث سعت إلى السيطرة على طرق المواصلات من رأس الرجاء الصالح حتى مصر، أي من شمال القارة حتى جنوبها. وعندما افتتحت قناة السويس سنة 1869 فتحت معها باب التنافس الشديد في الشمال الأفريقي وخاصة بين فرنسا وبريطانيا.

ومنذ الربع الأول من القرن التاسع عشر كانت بريطانيا قد نشرت إمبراطوريتها التجارية العاتية التي لا تغيب عنها الشمس. وبعدها أزاحت فرنسا من طريقها، ومع الانقلاب الصناعي في بريطانيا أصبحت السيادة العالمية لها بلا منافس حقيقي.[2]

وعندما ضعفت الدولة العثمانية، تكالبت أوربا على أسلابها، واحتلت المنطقة العربية أهمية قصوى، وكانت فلسطين محط أنظار الدول الكبرى وفي مقدمتهم بريطانيا العظمي، وكانت الهند هي درة التاج البريطاني والطريق إليها هو أهم الطرق وأخطرها، وفلسطين كانت تقع على أهم نقاطه، وازداد اهتمام بريطانيا بهذه المنطقة إثر حملة نابليون على مصر واشتداد الصراع البريطاني الروسي الفرنسي على الشرق الأوسط في القرن التاسع عشر.[3]

---

(1) يوري إيفانوف، **احذروا الصهيونية**، ترجمة أحمد داوود، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1969، ص12.

(2) د. جمال حمدان، **إستراتيجية الاستعمار والتحرير**، ص142.

(3) د. محمد عزيز شكري، **البعد الدولي للقضية الفلسطينية**، الموسوعة الفلسطينية، القسم الخاص، المجلد السادس، ص4 – 5.

أسهم نابليون في نشر مبادئ الثورة الفرنسية، والفكرة القومية وما أن حل عام 1825 حتى كانت أمريكا اللاتينية قد تحررت، وانطلقت الحرب القومية في البلقان من الأراضي اليونانية، وكانت اليونان جزءاً من البلقان العثماني، وتدخلت في الحرب بريطانيا وفرنسا وروسيا، واستمرت الحرب بين روسيا والعثمانيين حتى نالت اليونان استقلالها سنة 1829م. وبذلك تكرست عملية وضع اليد من قبل الدول الكبرى على الأراضي العثمانية.[1]

بداية فكرة توطين اليهود في فلسطين:

في عام 1800م نشر "جيمس بيشينو" (James Bicheno) مؤلفاً بعنوان: "عودة اليهود حلاً لكل الأمم"، طالب فيه بإعادة اليهود إلي فلسطين وأن هذه العودة تقدم حلاً للأزمات التي تعاني منها الدول المسيحية والدولة العثمانية وأن الحل الأمثل هو في الإعادة الجزئية لليهود وعلي يد الدول البروتستانتية.[2]

وعلى إثر قيام الدولة العربية على يد محمد علي أثير موضوع عودة اليهود إلي فلسطين على نطاق واسع لتأثيره الكبير على المصالح البريطانية في المنطقة العربية. وقد برزت في هذه الفترة شخصيتان قامتا بدور هام في هذه المسألة هما: "موزس مونتفيوري" (Moses Montefiori)، و"الأيرل شافتسبري" (Earl of Shaftesbury) وهو شخصية بريطانية هامة تربطه قرابة برئيس وزراء بريطانيا "بالمرستون" (Palmerston).

أما شافتسبري فقد أشار في كتابة: "انجلترا وفلسطين" يقول: "بأنه لا يوجد حتى الآن نظام فعال للدفاع عن كل مواصلاتنا مع الشرق على خط القناة وأن الحكمة الإستراتيجية تجعل من الضروري التقدم إلى ما وراء ذلك الخط وتشكيل حصن متقدم للدفاع عن أهم نقطة حيوية حساسة في نظامنا الدفاعي... وأن كل شئ يشير إلى تلال يهوذا هي الحامية الحقيقة ضد أي هجوم من

(1) بيان نويهض الحوت، **فلسطين القضية، الشعب، الحضارة**، ص268.

(2) مصطفي طلاس، **الكفاح المسلح في وجه التحدي الصهيوني**، مطابع ألف باء، دمشق،1982، ص25.

سوريا."[1] وكان "شافتسبري" متحمساً لإرسال اليهود إلى فلسطين، وقام بنشاط دعائي واسع في أوساط الرأي العام الإنجليزي وفي أوساط وزارة الخارجية البريطانية والتي كان وزيرها في ذلك الوقت "بالمرستون"، والذي سيصبح فيما بعد رئيساً لوزراء بريطانيا، والذي يعتبر من أكثر الساسة الإنجليز شوفنية في السياسة الخارجية، وفي مقدمة الساسة الإنجليز الذين نفخوا في الصهيونية قبل أن تولد بما يقرب من سبعة عقود.[2]

أما مونتفيوري فقد زار فلسطين في عام 1839م ووضع تصوراً لمشروع استعماري لفلسطين، وتشجيع اليهود للعودة إليها، وقد تردد على فلسطين سبع مرات حتى عام 1857 وأنشأ في عام 1856 أول مؤسسة زراعية بالقرب من يافا والمسماة باسمه. ولم يقتصر الأمر على شافتسبري و مونتفيوري بل إن العديد من الشخصيات العامة صارت تقترح المشاريع لعودة اليهود إلى فلسطين أمثال "توماس تالي" الذي دعا إلى تأسيس جمعية بريطانية لتشجيع عودة اليهود.[3] وكذلك مشروع "صموئيل اسكندر برادشو" سنة 1844 الذي بين فيه واجب الدول المسيحية تجاه عودة اليهود وكذلك مشروع "إدوارد ميتفورد" سنة 1845 الذي دعا إلى إنشاء دولة تحت حماية يهودية.

واعتبر الكولونيل "جورج غولير" الحاكم البريطاني السابق في جنوب استراليا والذي يعتبر خبيراً استعمارياً أن فلسطين كدولة يهودية هي الضمانة الوحيدة للحفاظ على هيمنة بريطانيا في الشرق.[4]

ومن هؤلاء البارزين أيضاً الكولونيل "تشارلز هنري تشرشل" الذي كان قنصلاً لبريطانيا في دمشق ومن المؤمنين أن مهمة بريطانيا التاريخية أن تقود اليهود إلى فلسطين، وضرورة نشر هذا الاعتقاد بين اليهود أنفسهم.

---

(1) د. خيرية قاسمية، **النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه**، م. ت. ف مركز الأبحاث، بيروت 1973، ص298.

(2) بيان نويهض الحوت، **فلسطين القضية، الشعب، الحضارة**، ص297.

(3) **Malachy Encyclopedia of Zionism**, Vol. II. P. 949.

(4) Regina Sharif: **Non – Jewish Zionism**, **Its Roots in Western History**, P. 61.
(بيان نويهض الحوت، **فلسطين القضية، الشعب، الحضارة**، ص299).

كان من المستحيل منذ البداية أن تنشأ الصهيونية بدون القوى العظمي ومن هنا التقت الصهيونية مع الإمبريالية العالمية لقاءاً تاريخياً ليكون الوطن اليهودي قاعدة تابعة له وذلك ثمناً للجهد الاستعماري في تحقيق عودة اليهود وضماناً لبقائه.[1] ولقد شغل الاهتمام بعودة اليهود رجال الدين ورجال السياسة ورجال الفكر من غير اليهود.[2] وفي خطاب اللورد شافتسبري بمناسبة تعينه رئيساً لصندوق اكتشاف فلسطين قال: "دعونا لا نتأخر في إرسال أفضل العلماء لتنقيب طول فلسطين وعرضها، لن يطول الزمن كثيراً قبل أن يقع هذا الحدث العظيم."[3]

وبدأت بريطانيا تنشئ لهذا الغرض العديد من الجمعيات البريطانية المسيحية منذ مطلع القرن التاسع عشر، مثل جمعية التوراة عام 1802 وجمعية فلسطين عام 1805، وجمعية لندن عام 1825، وكذلك الجمعيات التبشيرية مثل جمعية إغاثة اليهود البائسين، وجمعية تشجيع العمل الزراعي اليهودي في الأراضي المقدسة وكانت جمعية مسيحية بالكامل.[4]

كان قد صدر 12 كتاباً قبل سنة 1800 عن الإنجليز بشأن وجوب عودة اليهود، حتى رجال الدين صدرت لهم كتباً تبين حق اليهود في فلسطين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأشهر هؤلاء: القس "تمسن" والقس "بلاكستن"، والقس "هكلر".[5]

وأنه لمن المؤكد أن قيام البريطانيين بالتنقيب عن النفط في الشرق الأوسط عام 1872م، ثم إنشاء شركة النفط الإنجليزية الفارسية قد دفع لندن لتثبيت أقدامها في البحر الأحمر ومنطقة السويس، وكانت ترى في تحول "الوطن القومي اليهودي" إلي "دولة يهودية" ضمانة ليست للسويس فحسب، بل للذهب الأسود أيضاً.[6]

---

(1) د. جمال حمدان، **استراتيجية الاستعمار والتحرير**، ص136.

(2) رفيق شاكر النتشة، **الاستعمار وفلسطين**، دار الجليل، عمان، 1984، ص164

(3) د. صادق جلال العظم، **الصهيونية والصراع الطبقي**، ص54 – 55.

(4) حبيب قهوجي، **إستراتيجية الاستيطان الصهيوني**، ص37.

(5) أنيس صايغ، **الهاشميون وقضية فلسطين**، ص5.

(6) بوندار فسكي، **سياستان إزاء العالم الغربي**، دار التقدم، موسكو، ص38.

وهكذا بدت بريطانيا وكأنها أعدت لكل شئ، فمن رئيس وزرائها بالمرستون ومن جاء بعده من رؤساء الوزارات البريطانية، إلي الوزراء، والسفراء، وقناصل الدول، إلى المفكرين والعلماء، والأدباء والشعراء، إلى الاقتصاديين والجغرافيين والمستكشفين، إلي الشخصيات الهامة والسياسية حتى المغامرين قد دخلوا معركة إعادة اليهود إلى فلسطين. لقد جندوا كل شئ وعملوا كل شئ لدرجة قال معها الزعيم الصهيوني والمفكر اليهودي "ماكس نوردو": "ولم يبق على الصهيونية إلا أن تظهر للوجود... وإلا فإن بريطانيا ستضطر إلى ابتداعها" وأن الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن قال: "لقد وافقت بريطانيا على تسليم فلسطين خالية من سكانها العرب إلى اليهود في عام 1934، ولولا الثورات العربية المتعاقبة لتم إنجاز هذا الاتفاق."[1] وعلى العموم فإن المصالح الإستراتيجية للإمبراطورية البريطانية ارتأت في ذلك الوقت إقامة هذا الحاجز البشري على طريق إمبراطوريتها.

الوثيقة البريطانية الرسمية الأولى:

إن أول وثيقة بريطانية رسمية بشأن يهود أوربا الراغبين في الذهاب إلى فلسطين كانت برغبة رئيس وزراء بريطانيا بالمرستون إلى سفيره في استانبول بتاريخ 11 آب/ أغسطس 1840 يبلغه فيها أنه يوجد حالياً بين اليهود المشتتين في أوربا فكرة قوية أن الوقت قد حان لعودتهم إلى فلسطين، وأن كل شئ فيما يبدو يشير إلى أن هذه الرغبة أقرب إلى التحقيق مما كانت عليه في الماضي، وأن يهود أوربا يملكون ثروات ضخمة وأنه من المفيد أن يشجع السلطان عبد الحميد عودة اليهود إلي فلسطين وإقامتهم فيها، وطالب بالمرستون بسلامة الأشخاص والممتلكات.[2]

وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1840 أرسل بالمرستون مذكرة إلى سفيره في إستانبول يعلمه بأن المجلس العام للكنيسة الأسكتلندية البروتستانتية طلب من بالمرستون أن يتخذ التدابير اللازمة لتحقيق

---

(1) د. حاييم وازيزمن، **التجربة والخطأ**، ص59، وللمزيد أنظر كذلك محمد حسنين هيكل، **المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل**، الكتاب الأول، دار الشروق، القاهرة، 1996، ص47، وكذلك أنظر د.أسعد رزوق، **إسرائيل الكبرى**، ص10 – 12، وكذلك أنظر: عبد الوهاب المسيري، **الأيديولوجيا الصهيونية**، القسم الأول، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1982، ص137 – 138 وكذلك أنظر نصر شمالي، **إفلاس النظرية الصهيونية**، ص83.

(2) د. مصطفي طلاس، **الكفاح المسلح في وجه التحدي الصهيوني**، ص28.

حماية "الشعب اليهودي" وأن هذه المسألة تثير اهتماماً عاماً لدى الإنجليز، وأن على السلطان أن يكسب عطف الحركة الشعبية بنشر مرسوم أو تصريح يحقق فوراً عودة اليهود الراغبين للإقامة في إمبراطوريته عامة وفي سوريا خاصة، ومع الضمانات المشروعة بسلامة أشخاصهم وممتلكاتهم. إلا أن الحكومة العثمانية رفضت الطلب الإنجليزي واعتبرته مساساً باستقلال الباب العالي، كما رفض السلطان منح اليهود حق الملكية العقارية.[1]

ومن الواضح أنه بعد وثائق بالمرستون، واندفاع بريطانيا نحو الهدف الذي حدده بالمرستون، تجلى الاهتمام البريطاني بإنشاء صندوق اكتشاف فلسطين وتجلى في البعثات والرحلات للمستكشفين، والذين قاموا بهذه الرحلات كانوا من العسكريين البريطانيين. فالجنرال السير "تشارلز وارين" (General Sir Charles Warren) جاء إلى فلسطين في عام 1867 برفقة فريق من سلاح الهندسة، ونشر كتاباً عام 1875م بعنوان أرض الميعاد، ونادي بتطوير فلسطين لإدخال اليهود إليها وحكمها. وكان السير"تشارلز ويلسون" (Sir Charles Wilson) من أوائل الذين تطوعوا استجابة لطلب وزارة الحرب البريطانية عام 1864 للبدء بمسح القدس وضواحيها، أما الكولونيل "كوندر" (Col. Conder) فقد انصرف إلى وضع خرائط منفصلة لفلسطين.

وفي السبعينات من القرن التاسع عشر تشكلت في إنجلترا "الشركة الاستعمارية السورية الفلسطينية" بهدف ضمان استعمار سوريا وفلسطين.[2]

وعلى وجه العموم وقفت بريطانيا إلي جانب النشاطات اليهودية العالمية وأيدت اتجاهاتها وتبنت الحركة الصهيونية، وحملت بإصرار عبء تحقيقها لأهدافها وأمانيها بإنشاء دولة إسرائيل.[3] وتأكيداً لهذا القول فقد كتب فيما بعد حاييم وايزمن في مذكراته يقول: "إن بريطانيا احتضنت الحركة الصهيونية وأخذت على عاتقها تحقيق أهدافها... إن لندن هي الطريق الذي يوصل إلى فلسطين.[4]

---

(1) يوري إيفانوف، **احذروا الصهيونية**، ص35.

(2) أحمد سوسة، **العرب واليهود في التاريخ** ، ص356.

(3) خيرية قاسمية، **النشاط الصهيوني في الشرق وصداه**، ص273.

(4) حاييم وايزمن، **التجربة والخطأ**، ص189.

عاملان هامان جعلا بريطانيا تقف إلي جانب الصهيونية وتحتضنها وهما: العامل الروحي والعامل الاستعماري أو المصلحي. وفي العامل الروحي يقول حاييم وايزمن: "لم يخطر على بال بعضهم أن رجالاً من أمثال بلفور وتشرشل ولويد جورج كانوا متدينين، وأن عودة اليهود إلي فلسطين مسألة واقعية وحقيقة، ولذلك فهم ينظرون إلينا نحن الصهيونيون ممثلين لفكرة يحترمونها احتراماً عظيماً."[1]

وأما العامل الاستعماري المصلحي فقد كان له الدور الأكبر في تحطيم الإمبراطورية العثمانية، للاستيلاء على الولايات المشرقية لأهميتها الإستراتيجية وكذلك السيطرة على فلسطين لتحويلها إلي دولة يهودية لتكون أداة لإحباط فكرة القومية العربية، وإقامة فاصل سياسي وعسكري بين مشرق الوطن العربي ومغربه ويكون حاجزاً وقائياً متقدماً يحمي لبريطانيا قواعدها وممراتها ومستعمراتها فيه.[2]

توصيات لجنة هنري كمبل بانرمان: الحاجز البشري:

في عام 1907 رفعت لجنة شكلها رئيس وزراء بريطانيا هنري كمبل بانرمان (Sir Henry Campbell Bannerman) تقريراً إلي وزارة الخارجية البريطانية دعت فيه إلى العمل من أجل إبقاء المنطقة العربية مجزأه متأخره وإلى محاربة ارتباطها بأي نوع من الارتباط الفكري أو الروحي أو التاريخي من خلال العمل على فصل الجناح الأفريقي من الأمة العربية على جناحها الآسيوي عن طريق إقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البرى الذي يربط آسيا وأفريقيا قوة صديقة للاستعمار، وعدوة لسكان المنطقة.[3] ومن المعروف أن فلسطين هي هذا الجسر الذي يربط آسيا وأفريقيا وهي البوابة الغربية الطبيعية لآسيا.

---

(1) المرجع السابق.

(2) برهان الدجاني، "**القضية الفلسطينية والصهيونية العالمية**"، دراسات في الاقتصاد والسياسة أصدرتها وزارة خارجية دولة الإمارات العربية المتحدة لعام 1974 – 1975، ص116.

(3) د. حسن صبري الخولي، **سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين**، المجلد الأول، دار المعارف، القاهرة، 1973، ص112.وأنظر كذلك، د .خيرية قاسمية، **النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه**، ص295. وكذلك أنظر، محمد فيصل عبد المنعم، **فلسطين والغزو الصهيوني**، ص60 – 62.

الحرب العالمية الأولى وآثرها على عروبة فلسطين:

ظهرت نوايا بريطانيا بصورة واضحة وجلية، وتكشفت سياساتها المبينة خلال الحرب العالمية الأولي (1914 – 1918)، فقدت أغرقت الوعود للشريف حسين بواسطة مكماهون (Mcmahon) ممثلها في مصر، حيث وعدت بريطانيا الشريف حسين بالمساعدة على استقلال البلاد العربية وتحريرها. وكانت في الواقع تقوم بتجزئة هذه البلاد واستقطاع فلسطين منها وجعلها من نصيب بريطانيا، وعندما انكشف الأمر وهدد العرب بعمل صلح منفرد مع الدولة العثمانية، أصدر الحلفاء بتاريخ 1918/11/18 بياناً أكدوا فيه أن السبب الذي حاربت بريطانيا وفرنسا من أجله في الشرق إنما هو تحرير الشعوب العربية من الظلم الواقع عليهم من الأتراك.[1]

ولكن الحقيقة أنه بمجرد سقوط فلسطين في يد القوات البريطانية بدأت أمور السياسة البريطانية تبرز للعيان، ولم تمنع تلك الوعود المعطاة للشريف حسين من إصدار "تصريح بلفور" لصالح اليهود بجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود، بل إن هذه الوعود لم تمنعهم أصلاً من عقد اتفاقية سايكس بيكو مع فرنسا عام 1916 والتي تقاسمت فيها بريطانيا وفرنسا البلاد العربية.[2]

لقد كانت بريطانيا ماضية قدماً، تسبق اليهود وتحمى الفرنسيين فقد عهدت الحكومة البريطانية إلى "هربرت صموئيل" بوصفه عضواً في وزارة الحرب البريطانية أن يضع تصوراً لما يجب أن تكون عليه فلسطين بعد الحرب، وكتب صموئيل مذكرته في 1915/2/5 يحدد فيها هذا التصور الذي قاده إلى نتيجتين: الأولي إخراج فلسطين من أي اتفاق مع فرنسا، والثانية إقامة اتحاد يهودي كبير تحت السيادة البريطانية في فلسطين.[3]

---

(1) محمد عزيز شكري، **البعد الدولي للقضية الفلسطينية**، ص11.

(2) طاهر شاش، **المواجهة والسلام**، ص19.

(3) محمد حسنين هيكل، **المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل**، ص47. وكذلك أنظر، أسعد رزوق، **إسرائيل الكبرى**، ص60 – 62.

وعد بلفور:

صدر هذا الوعد في عهد رئيس الوزراء البريطاني "لويد جورج" ووزير خارجيته "بلفور". وقد صدر هذا الوعد على شكل رسالة وجهها بلفور إلى اللورد "روتشيلد" المالي المعروف، بعد أن وصل مجلس الوزراء البريطاني إلى قرار بالموافقة على التصريح في اجتماع 31 أكتوبر/ تشرين أول، وبعد أن وافق كذلك مجلس الحرب الوزاري في الثاني من تشرين الثاني/ نوفمبر 1917 على التصريح، وجاء في خطاب بلفور إلى روتشيلد ما يلي:

"يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود الصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرته: عن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلي تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم بوضوح إنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف اليهودية المقيمة الآن فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى.[1]

وبغض النظر عما في هذا الوعد من غموض وإبهام مقصودين ومن قلب للحقائق إلا أنه كان دليلاً قاطعاً على رغبة بريطانيا الأكيدة بتهويد فلسطين، وقد جعل الإنجليز تصريح بلفور قاعدتهم الأساسية التي ينطلقون منها في إدارة فلسطين.

ولعل أخطر ما انطوى عليه التصريح أن واضعيه عملوا إخفاء حقيقة هامة وهي إن العرب هم سكان البلاد الأصليين، بل اعتبروا اليهود وكانت نسبتهم لا تزيد عن 9% من مجموع السكان هم الأصل وتجاهلوا وجود شعب عربي يمثل 91% من السكان، وتجنبوا نهائياً ذكر كلمة عرب كما لو كانوا هم الأقلية فأشار إليهم التصريح بقوله: الجماعات غير اليهودية المقيمة في فلسطين.[2]

(1) "**الموسوعة الفلسطينية**"، **قادة "بلفور"** وأنظر كذلك، "**الموسوعة الفلسطينية**"، **القسم الخاص**، المجلد السادس، ص12.
(2) محمود حسن صالح منسي، **تصريح بلفور**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1970، ص105.

وعقب إصدار تصريح بلفور، عقد اجتماع في كانون الأول/ ديسمبر 1917 بدار الأوبرا البريطانية في لندن برئاسة اللورد روتشيلد وبحضور شخصيات عربية ويهودية صهيونية وبريطانية لتقديم الشكر للحكومة البريطانية على هذه الخطوة الكبيرة التي أقدمت عليها.[1]

وقد علق الكاتب المعروف "آرثر كوستلر" على هذا التصريح بقوله:" أنه وثيقة تعد فيها قومية " قومية" أخرى رسمياً بأرض قومية ثالثة مع أن القومية التي بذل لها الوعد لم تكن قومية حقاً، بل كانت جماعة دينية والأرض عندما وعد بها كانت تابعة لقومية رابعة هي تركيا."[2]

ولا نجد هناك أوضح وأكثر صراحة من قول صاحب الوعد نفسه اللورد "بلفور" فقد كتب في مذكراته بتاريخ 1919/8/11م ما نصه: "أن القوى العظمى، إنجلترا، والولايات المتحدة، وفرنسا، وإيطاليا، قد انحازت إلى الصهيونية، سواء كانت الصهيونية صواباً أم خطأ، خيراً أم شراً، فإنها تمتد في تقاليد عريقة، وفي حاجات قائمة، وفي آمال مستقبلية ذات أهمية أعمق بكثير من ألوان الحرمان التي يشعر بها سبعمائة ألف عربي يسكنون اليوم هذه الأرض القديمة، وفي رأيي أن هذا حق."[3] والأكثر صراحة من ذلك عندما عبر "بلفور" عن الموقف برمته حيث قال: "أما عن فلسطين فإن القوة الكبرى لم تقم بأي تقييم يتسم بالنزاهة، ولم يكن لها أي إعلان لا تنوي انتهاكه."[4] ولا شك أن تصريح بلفور كان الأرضية التي تم عليها بعد ذلك كل المسائل التي مهدت وسهلت إجراءات التهويد المتتابعة تدريجياً خطوة تعقبها خطوة حتى تم تنفيذ أغراض وعد بلفور على الأرض.

---

(1) المرجع السابق، ص107 وأنظر كذلك، مروان بحيري، **السياسة الغربية عامة تجاه فلسطين**، اتحاد الجامعات العربية، المجلد1، بغداد 1983 ص417 وما بعدها.

(2) آرثر كوستلر، **تحليل معجزة** (ورد في جارودي، **فلسطين أرض الرسالات**، ترجمة الدكتور/ عبد الصبور شاهين، دار التراث، القاهرة، 1968، ص204).

(3) **وثائق السياسة الخارجية البريطانية (1919 – 1939)** (ورد في جارودي، **فلسطين أرض الرسالات**، ص345).

(4) د. عبد الوهاب المسيري، "**الحركة الصهيونية ومشروعها السياسي، المدخل إلي القضية الفلسطينية**"، ص178.

اتفاقية فيصل وايزمان:

بعد صدور وعد بلفور بذل البريطانيون جهداً كبيراً للانطلاق بهذا التصريح من النطاق البريطاني إلى النطاق الدولي، وتمكن البريطانيون في سعيهم من تحقيق النجاح في عقد اتفاقية بين زعيم الصهيونية "وايزمان" وبين الأمير فيصل بن حسين بن علي شريف مكة، ووقعت هذه الاتفاقية في 1919/1/3 لتكون هذه الاتفاقية ورقة رابحة في يد الصهيونية أمام مؤتمر الصلح في باريس. وقد ورد في هذه الاتفاقية مادتين تتعلق بتنفيذ وعد بلفور.

فالمادة الثالثة تنص على اتخاذ الإجراءات التي من شأنها تقديم أوفى الضمانات لتنفيذ هذا التصريح. والمادة الرابعة تنص على وجوب اتخاذ جميع التدابير لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين على مدى واسع، والحث عليها بأقصى سرعة.

وقد وصل الأمر إلي تنسيق المواقف العربية والصهيونية أمام مؤتمر الصلح الذي حضره الأمير فيصل عن العرب كمندوب عن أبيه ملك الحجاز وجاء هذا التنسيق تطبيقاً للمادة الثانية من هذا الاتفاق التي تنص: "يوافق الفريقان المتعاقدان علي العمل باتفاق وتآلف لضمان تحقيق هذا الاتفاق أمام مؤتمر الصلح."[(1)]

وأرسل البريطانيون الكوماندور "هوجارت" إلى الملك حسين ليقدم له رسالة من بريطانيا في 4 كانون الثاني/ يناير1918 بأن الحكومة البريطانية عازمة على ألا توضع أي عقبة في سبيل تحقيق عودة اليهود إلى فلسطين، وقد أبلغ الملك حسين بن علي "هوجارت" أنه طالما أن تصريح بلفور يوفر ملجأ لليهود من الاضطهاد فإنه سوف يستخدم كل نفوذه لتأييده، كما أوصى بنشر مقال في صحيفة القبلة الناطقة بإسمه، العدد 183 الصادرة في 23 آذار/ مارس 1918 ينبه فيه الشعب العربي في فلسطين إلي أن كتبه المقدسة وتقاليده تحثهم على التسامح والكرم ويحثهم على الترحيب باليهود كأخوة والتعاون معهم من أجل الصالح العام. وهكذا أستخدم الملك نفوذه في كسر حدة

(1) عادل حسن غنيم، **الحركة الوطنية الفلسطينية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974، ص39 – 40. وانظر كذلك، عبد الرازق محمد اسود، **الموسوعة الفلسطينية**، المجلد 2، ص356.

المعارضة العربية الخطيرة لتصريح بلفور، حيث كانت ثقته ببريطانيا بلا حدود، ولم يكن مقدراً للعواقب الخطيرة المترتبة على هذا التصريح.[1]

وفي خطاب وجهه فيصل إلى فرانكفورتر بتاريخ 3 آذار/ مارس1919 يقول فيه: "الحركة الصهيونية مثل الحركة العربية – حركة قومية وليست استعمارية، وأن في بلاد الشام متسعاً للفريقين" وقال: "وقد أحيط وفدنا علماً في باريس بالمقترحات التي قدمتها المنظمة الصهيونية إلي مؤتمر الصلح، ونحن نعتبر هذه المقترحات معقولة وفي محلها، وسوف يجد اليهود منا ترحيباً قلبياً."[2]

ولا نستطيع القول سوى أن مثل هذه التصريحات مهما قيل عن الأسباب التي أدت إليها، قد أضرت بقضية فلسطين، وأبرزت بما لا يدع مجالاً للشك عن عدم إدراك سياسي لما قد ينتج عنها من أضرار فادحة في التفريط بأرض فلسطين وخاصة عندما يقول لصحيفةLematin بتاريخ أول آذار/ مارس 1919 (والقول هنا للأمير فيصل): "يسرنا بحكم المروءة والإنسانية أن نرى اليهود التعساء يهاجرون إلي فلسطين ويقيمون فيها."[3] وكل هذا كان بترتيب بريطاني قادر وفاعل ومؤثر استحوذ على قيادات عربية ادعت لنفسها أنها من أشراف الأمة، ولم تكن الصهيونية تعيسة وهي تمتطى ظهر اكبر قوة عظمي، وإنما كان التعساء حقاً هم أولئك الذين قادوا الأمة ولم يدركوا المخاطر العظيمة التي كانت تحيط بالأرض العربية.

مؤتمر السلام في باريس عام 1919 :

عقد في فرساي في باريس في شهر كانون الثاني/ يناير من عام 1919مؤتمر السلام من أجل رسم خريطة جديدة للعالم بعد الحرب العالمية الأولي واستفادة الصهيونية من هذا المؤتمر بطلبها إقامة وصاية بريطانية على فلسطين لتنفيذ وعد بلفور. وفي الثالث من شباط/ فبراير1919 رفعت بريطانيا مع المنظمة الصهيونية مذكرة رسمية إلى المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح عنوانها "تصريح المنظمة الصهيونية بصدد فلسطين" طالبت مؤتمر الصلح "الاعتراف بالحق التاريخي للشعب اليهودي في

(1) محمود حسن صالح منسى، **تصريح بلفور**، ص125 – 126.
(2) المرجع السابق، ص158.
(3) المرجع السابق، ص161.

فلسطين وبحق اليهود في إعادة بناء وطنهم القومي فيها."[1] كما ألحق بالمذكرة الحدود المطلوب تعينها لاستعمار اليهود لفلسطين. وقبلها كان الأمريكيون قد تقدموا في 21 كانون الثاني/ يناير 1919 بتوصيات عبر قسم المخابرات الملحق بالوفد الأمريكي إلى مؤتمر الصلح باقتراح إقامة دولة منفصلة في فلسطين على أن تكون الدولة تحت حكم بريطانيا بصفتها منتدبة من قبل عصبة الأمم، كما توصى بعودة اليهود "للعودة إلي فلسطين والإقامة هناك" وفي مؤتمر السلام طالب الأمير فيصل بإقامة دولة عربية مستقلة تمتد من الحدود التركية شمالاً إلي المحيط الهندي جنوبا، وأغفل الحديث عن الوعد البريطاني لليهود بشأن فلسطين.[2] وقبل سفر الأمير فيصل إلي مؤتمر الصلح في باريس أوصاه والده بأن يتبع سياسة بريطانيا وما توصى به وقال الملك حسين في توجيهاته: "حيث أن رابطتنا الوحيدة هي العظمة البريطانية ولا مناسبة مع سواها في أساساتنا السياسية، فكل ملاحظاتك تبديها لنوابها... وما يكلفونك من قول أو عمل وإن كان في المجتمع (الاجتماع) أو في سواه تعمل به وتجنب كل ما سوى ذلك..."[3] وهكذا دفعت بريطانيا بكل أوراق اللعبة لديها في تحقيق أهداف الصهيونية.

تم عقد مؤتمر في القاهرة عام 1920 للعسكريين والبريطانيين لمراجعة الوضع في المنطقة، ولقد أوصى هذا المؤتمر البريطاني بالاستمرار في تنفيذ وعد بلفور وأن بريطانيا ملزمة بإنشاء وطن قومي لليهود، وأوصى كذلك بتشكيل مقاطعة عربية في شرق الأردن بقيادة الأمير عبد الله ويكون مسئولاً عنها أمام المندوب السامي البريطاني، ويكون شرق الأردن مكاناً لمن يغادر فلسطين ويتركها ليقيم في هذه المقاطعة.[4]

---

(1) J. C. Hurewitz **Diplomacy in the Near and Midle East**, A Documentary Record, 1914 – 1956. Vol. II (Princeton, 1956, P. 46).

(ورد في وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني: **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، ص76)

(2) طاهر شاش، **المواجهة والسلام**، ص22.

(3) د. محمود حسن صالح منسى، **تصريح بلفور**، ص162.

(4) د.عبد الوهاب المسيري، " **الحركة الصهيونية ومشروعها السياسي، المدخل إلى القضية الفلسطينية**"، ص179. وكذلك أنظر، عادل حسن غنيم، **الحركة الوطنية الفلسطينية**، ص83 وما بعدها.

مؤتمر سان ريمو 1920م:

وفي 19 أبريل 1920 عقد مؤتمر سان ريمو، وقرر المجلس الأعلى للحلفاء وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وجاء القرار متضمناً إدراج نص تصريح بلفور. أما المادة 95 من معاهدة سيفر التي وقعت في 1920/8/10م فقد نصت على أن الدولة المنتدبة على فلسطين مسئولة عن تنفيذ تصريح بلفور.

كذلك فقد عهد إلى اللورد "كيرزون" بإعداد مشروع صك الانتداب البريطاني على فلسطين تمهيداً لاستصدار قرار به من عصبة الأمم. وقد أعلن المجلس عصبة الأمم صك الانتداب على فلسطين في 1921/7/6م ثم صادق عليه في 1922/7/24 ويشكل هذا الصك الانتقال بتصريح بلفور من النطاق المحلي إلي النطاق الدولي.[1]

وتنص المادة الثانية من صك الانتداب على فلسطين أن: "تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي"

وتنص المادة الرابعة على أن: "يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لإسداء المشورة إلي إدارة فلسطين (البريطانية) والتعاون معها..."[2] وهذا معناه أن صك الانتداب الذي أصدرته عصبة الأمم يعترف بالوكالة اليهودية عنصراً رسمياً من عناصر الحكم في فلسطين.

أما المادة السادسة فهي تنص أن: "على إدارة فلسطين (البريطانية) أن تسهل الهجرة اليهودية.." ولم يتوقف الحد عند هذا بل نصت المادة 22 بأن تكون اللغة الإنجليزية والعربية والعبرية اللغة الرسمية في البلاد. وإذا علمنا أن مسودة صك الانتداب وضعتها الحكومة البريطانية بالتشاور الكامل مع زعماء الحركة الصهيونية، وعملت على إقرارها من مجلس الحلفاء ثم من مجلس العصبة في

---

(1) د. محمد عبد الرؤوف سليم، **نشاط الوكالة اليهودية لفلسطين**، ص21-22.

(2) United Nations, **Document**, **A/ 70**, **Tems of League of Nations**, Mandates – Mandate for palestine. P. 1

(ورد في محمد عبد الرؤوف سليم، **الوكالة اليهودية لفلسطين**، ص22)

1919/2/3 أي قبل أن تقرر عصبة الأمم رسمياً وضع فلسطين تحت الانتداب بعنوان إدراكنا الدور الخطير الذي لعبته بريطانية في تهويد فلسطين.[1]

وعلى العموم فقد تواصل العمل بين سلطة الانتداب القائمة والوكالة اليهودية، وأتبعت بريطانيا سياسة الكتب البيضاء التي تصدر عنها وفقاً للأوضاع والحالة العامة في فلسطين وردود الفعل العربية على الهجرة والمقاومة الفلسطينية في وجه مخططات التهويد المستمرة بالتعاون الوثيق بين إدارة الاحتلال والوكالة اليهودية.

الكتب البريطانية البيضاء:

صدر الكتاب الأول بعد صدور وعد بلفور بعدة سنوات في 3 حزيران/ يونيه1922، وعرف بمفكرة تشرشل التي فسرت تصريح بلفور بأنه لا يعنى إقامة الوطن اليهودي في كل فلسطين، وإنما في جزء منها ورفضت بريطانيا فكرة سيطرة اليهود على العرب إلا أن العرب قد أدركوا الدرس البريطاني المتكرر في تقديم الوعود وفي التنصل منها عند اللزوم.

وفي أعقاب ثورة البراق في عام 1929 واندلاع الاشتباكات بين العرب واليهود أصدرت بريطانيا "مفكرة باسفيلد" التي أكدت التزامها تجاه السكان اليهود وغير اليهود، واقترحت تشكيل مجلس تشريعي وفقاً لنسبة السكان العرب واليهود، والحد من الهجرة اليهودية.

وكان وقف الهجرة اليهودية هو من المطالب الأساسية للثوار الفلسطينيين وقد رفضت الصهيونية وقف الهجرة.

وبعد اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936م وقدوم لجنة بيل للتحقيق في ذلك، أصدرت بريطانيا كتابها الأبيض الثالث والذي اقترحت فيه تقسيم فلسطين إلي دولتين عربية ويهودية، ووقف المعاملات في الأراضي التي قد تلحق الضرر في مشروع التقسيم، وكذلك تقيد الهجرة. ورفض هذا المشروع من الجانبين الفلسطيني واليهودي.

---

(1) المرجع السابق Ibid, PP. 2-3 وكذلك أنظر، د. محمد عزيز شكري، **البعد الدولي للقضية الفلسطينية**، ص13. وانظر كذلك د. أسعد رزوق، **إسرائيل الكبرى**، ص453 وما بعدها.

فأصدرت بريطانيا في نوفمبر 1938 الكتاب الأبيض الرابع الذي الغي مشروع التقسيم لعام 1937، واقترح البريطانيون عقد مؤتمر يهودي عربي لمناقشة الأوضاع المستقبلية بين العرب واليهود.

أما الكتاب الأبيض الآخر فقد كان كتاب "ماكدونالد" الصادر في مايو 1939 بعد فشل المؤتمر الذي دعي إليه العرب واليهود وقد أكد الكتاب أنه لم تكن من سياسة بريطانيا تحويل فلسطين إلي وطن قومي يهودي.وأعلن أن هدف الحكومة هو إنشاء دولة فلسطينية في غضون عشرة سنوات. وأوقف الكتاب بيع الأرض العربية لليهود وحدد الهجرة اليهودية بـ 75 ألف خلال الخمسة سنوات القادمة.

وقد أصدرت بريطانيا هذا الكتاب الذي ألتفت إلي بعض الحقوق العربية لاسترضاء العرب وكسب ثقتهم لما لفلسطين من أهمية في الخطط العربية البريطانية وخاصة بعد توتر الموقف الدولي، غير أن اليهود اعتبروا هذا الكتاب ضربة موجهة لهم.[1]

وأيقن بن جوريون أن دور بريطانيا في إقامة الدولة اليهودية قد أنتهي، وأن التوجه إلي الولايات المتحدة هو الطريق الصحيح وقد كان ذلك عندما عقد مؤتمر بلتمور في مايو 1942، وقد نجح بن جوريون في استصدار قرار من المؤتمر بإنشاء دولة يهودية في فلسطين بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.[2]

مؤتمرات لندن:

بدأت بريطانيا تشعر بأن التوجه الصهيوني أصبح يتجه نحو الولايات المتحدة، وأن بريطانيا نتيجة تمكينها للصهيونية في فلسطين فجرت الثورات الفلسطينية المتعاقبة ووجدت نفسها في وضع

---

(1) طاهر شاش، **المواجهة والسلام في الشرق الأوسط**، ص26.

(2) المصدر السابق، ص27 وكذلك أنظر، الدكتور/ أحمد طرابين، **فلسطين في عهد الانتداب البريطاني**، ص993 وما بعدها. وكذلك أنظر محمود حسن صالح منسى، **تصريح بلفور**، ص168 وما بعدها وكذلك أنظر، أسعد رزوق، **إسرائيل الكبرى**، ص451 وما بعدها وكذلك أنظر د. محمد عبد الرؤوف سليم، **نشاط الوكالة اليهودية لفلسطين**، ص23 وما بعدها.

صعب نتيجة لحاجتها للموقف العربي في ظل التطورات الدولية، وأنها تبحث عن حل تستطيع فيه أن تجد حلاً ولو ظاهرياً بين تحقيق وعد بلفور وأغراضه كاملاً وبين ترضية العرب.

وكان العرب قد أخذوا وعوداً من بريطانيا تنطوي على إنهاء انتداب بريطانيا وحل المشكلة الفلسطينية، وقامت بريطانيا بدعوة الطرفين إلى مؤتمر لندن الذي أطلق عليه "مؤتمر المائدة المستديرة" الذي تقرر عقده في السابع من شباط/ فبراير 1939. وكان المؤتمر عبارة عن مؤتمرين: مؤتمر عربي – بريطاني ومؤتمر يهودي – بريطاني، وأفتتح تشمبرلين المؤتمرين كل على حده. وفي المناقشات بين الجانب العربي والبريطاني أقترح البريطانيون أن يحصل الفلسطينيون على استقلالهم بعد فترة انتقالية تمتد لعشرة سنوات قابلة للتجديد وجعلها تحت السيادة الإسرائيلية وموافقة اليهود عليها، إلا أن الجانب العربي رفض ذلك نظراً لأن العرب يريدون الاستقلال واليهود يرفضون ذلك، وأصر البريطانيون على موقفهم، وانفض المؤتمر دون التوصل إلى أي نتيجة.

أما المؤتمر الثاني – الدورة الأولي فقد انعقد في لندن في العاشر من أيلول/ سبتمبر 1946، وكانت الحكومة البريطانية قد أعلنت أن المؤتمر سيكون عربياً – بريطانياً – يهودياً في نطاق مشروع تقسيمي اتحادي أعلنته الحكومة البريطانية و أعلنت موافقة الولايات المتحدة عليه، ووافق وزراء الخارجية العرب قبول الدعوة وحضور المؤتمر، وتم عقد المؤتمر التي استغرقت دورته الأولى نحواً من ثلاثة أسابيع، وطرحت بريطانيا مشروع "موريسون" الذي سيجيء الحديث عنه لاحقاً، وقررت الوفود العربية رفض المشروع البريطاني وتقدموا بالمشروع العربي، وكذلك رفض اليهود مشروع "موريسون" وفشل المؤتمر.

أما الدورة الثانية فلم تكن احسن من سابقتها، وقد استأنفت الدورة الثانية في الثامن والعشرين من كانون الثاني/ يناير 1947، ورفضت بريطانيا المشروع العربي، وعلى العموم كانت المشاريع البريطانية والعربية تدور كلها حول تقسيم الأرض.[1]

(1) عبد الرازق محمد أسود، **الموسوعة الفلسطينية**، المجلد 2، ص444.

بريطانيا تعلن الرحيل:

لم تتمكن بريطانيا من إيجاد حل لما يجري فوق فلسطين، وهي التي بنفسها أوجدت هذه المشكلة، وعندما بدأ أمر الصهيونية يخرج عن الاتجاه الذي رسمته ويتحول نحو أمريكا، قررت أنها سوف ترفع الأمر برمته إلي الأمم المتحدة في نيسان/ أبريل1947، وأنها تنوي الرحيل عن فلسطين في موعد أقصاه 15 أيار/ مايو1948.

وبذلك تكون بريطانيا قد أكملت رسالتها الصهيونية فوق فلسطين لأغراضها الإستراتيجية العظمى في منطقة الشرق، ذات الأهمية الحيوية لإمبراطوريتها، مستفيدة من بروز المسألة اليهودية في ظل عصر القوميات، نافخة في عقيدة اليهود الدينية حتى أوجدت الصهيونية بديباجة قومية وبإحياء تاريخي واستحضار مملكة سليمان وداود التي قامت قبل ثلاثين قرناً من الزمان، في منطقة كانت مازالت معبراً للغزاة عبر التاريخ وملتقى حضارات، وعملت على اقتلاع شعب من أرضه ومن جذوره بالخديعة المتواصلة والقوة العسكرية المتفوقة وبإدارة صهيونية فوقها استطاعت في ثلاثين سنة من تنصيب نفسها كإدارة منتدبة على فلسطين من خلق حقائق ديمغرافية عكسية.

فقد كان تعداد سكان فلسطين عندما استولت الإدارة البريطانية على فلسطين عام 1919 هو 700.000 فلسطيني، منهم 9% من اليهود و91% من العرب الفلسطينيون، وعند إعلان رحيلها في عام 1948 عن فلسطين أصبح العرب الفلسطينيون يشكلون 10% فقط من السكان، واليهود يشكلون 90% بعد انتهاء حرب فلسطين.[1]

---

(1) هذه الأرقام مأخوذة من كتاب: **H.Sacher**، **الصهيونية والمستقبل اليهودي**، لندن1961، ص12– 14
(ورد في جـ. هـ. جانسون: **الصهيونية وإسرائيل وآسيا**، ص17). وأنظر كذلك: **The Emergence of Jewish Problem** لندن، 1946، المقدمة.
(ورد في جـ. هـ. جانسون، **الصهيونية وإسرائيل وآسيا**، ص17).

هذا الجهد المتواصل البريطاني منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين والذي شمل جهداً متواصلاً على الصعد الفكرية والاقتصادية، والسياسية والعسكرية والجغرافية والدينية والأدبية ليصب في جهد متكامل ليصل في سياق إمبراطورية عاتية كانت قادرة على خلق الدول، لتخلق فلسطين اليهودية بدل فلسطين العربية.

فلولا الدور البريطاني ما قامت دولة إسرائيلية في فلسطين.

obeikandl.com

المبحث الخامس

المقاومة الفلسطينية العربية للمشروع البريطاني الصهيوني

تنبه العرب الفلسطينيون مبكراً إلى خطر الهجرة اليهودية إلى أرضهم حتى قبل أن يعقد "هرتزل" مؤتمره الصهيوني الأول في عام 1897. فقد تنادى وجهاء القدس وأعيانها إلى تنبيه سلطات الباب العالي إلى خطر المهاجرين اليهود، فوقعوا في 24 حزيران/ يونيه 1891م التماساً إلى السلطات العثمانية بوضع حد للمهاجرين اليهود وتوقف بيع الأراضي الأميرية وأراضي الإقطاعيين، واتخاذ التدابير الفعالة لتنفيذ القيود الرسمية بمنع دخول وإقامة اليهود في فلسطين.

واستجابت السلطات العثمانية للنداء العربي وأصدرت عام 1892 مرسوماً يمنع بيع أراضي الدولة الميري في فلسطين إلى جميع اليهود دون استثناء الرعايا العثمانيين منهم.[1]

وقد مرت المقاومة الفلسطينية في عدة مراحل مختلفة وكانت تتراكم في كل مرحلة وتكتسب الخبرة للمرحلة التالية فقد بدأت بالاحتجاج بالعرائض والصحف، على صعيد فردي، وتطورت إلى عمل جماعي في لجان وجمعيات، وتطورت بعدها إلى المظاهرات ثم إلى انتشار الصحف، وتكوين الأحزاب، ثم تطورت إلى الاحتكاك الدموي ثم ثورات متلاحقة ومتتابعة بالإضافة إلى عمل القيادة السياسية التي فصلت في البداية بين البريطانيين والصهاينة، وكل ذلك مع التواصل المستمر مع أهلها العرب وخاصة في سوريا.

---

(1) Neville Mandel: "**Turks**, **Arabs and Jewish Immigration into Palestine**, **1882–1914**" in st. Antony's Papers, No 17, Middle East Affairs, ed. by A. Hourani, No. 4, Oxford, 1965, PP. 77-108.

(ورد في وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني: **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، ص 203)

obeikandl.com

وقد تنوع النضال الفلسطيني كان حيزاً منه وخاصة في بداياته في العهد العثماني لينتقل بعد ذلك وعلى وجه التحديد بعد احتلال بريطانيا لفلسطين وصدور وعد بلفور وهزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى إلى المواجهة مع الصهيونية ومع بريطانيا.

وعلى العموم يمكن تقسيم هذه المراحل على الوجه التالي:

المرحلة الأولى: وهي تقع في فترة الحكم العثماني:

في تلك الفترة كانت المطالب الفلسطينية تركز على طلب الإصلاح والحكم الذاتي، مثلها في ذلك مثل باقي الأقطار العربية الواقعة تحت الحكم العثماني. وهي مطلب الحركة القومية في تلك المرحلة التي سبقت الحرب العالمية. ولم يرافق نشوء الشعور القومي عند عرب فلسطين في القرن التاسع عشر أي شكل من أشكال العداء لليهود، وقد لاحظ أول قنصل بريطاني في القدس مدى التسامح الديني عند عرب فلسطين.[1] ولم يتبدل الموقف الفلسطيني من اليهود إلا بعد أن أخذت طبيعة الوجود اليهودي تتحول من الطابع الديني إلى الطابع الاستعماري تطبيقاً للأفكار الصهيونية وخاصة بتدفق مجموعات "أحباء صهيون" في عام 1882 والتي رسمت بداية الصهيونية الحديثة.[2] وقد بدأت إرهاصات المقاومة الأولى على يد أصحاب القلم من المفكرين والصحفيين. ونظراً للحظر المفروض على حرية الكتابة في الأجزاء الآسيوية الواقعة تحت الحكم العثماني، فقد ظهرت الآراء الفلسطينية والعربية في القاهرة وباريس. ونشرت صحيفة المنار وكتب السيد محمد رشيد رضا إلى الحظر الصهيوني الذي يعمل على استعمار بلادهم وذلك بعد عقد مؤتمر بازل الصهيوني عام 1897.[3] وكذلك نشرت المقتطف مقالاً بعنوان "عودة اليهود إلي فلسطين" نبهت فيه إلي الغرض الصهيوني من استيطان فلسطين بمساعدة الدول العربية.[4] وفي عام 1905 كتب "نجيب عازوري" وكان يعمل في الإدارة

---

(1) عبد الوهاب الكيالي: **تاريخ فلسطين الحديث**، ص 47.

(2) Lean Simon and Leonard Stein: **Awakening Palestine**, London, 1923,P. 25.

(ورد في: د. خيرية قاسمية: **الحركة الوطنية الفلسطينية**، الموسوعة الفلسطينية، القسم الخاص، المجلد الخامس، ص43)

(3) **المنار**: مجلد 1، عدد 6، نيسان/ أبريل، 1898، ص 108 (ورد في: د. خيرية قاسمية: **الحركة الوطنية الفلسطينية**، ص 44)

(4) **المقتطف**: مجلد 22، الجزء 4، 1898/4/1، ص 108 (ورد في المصدر السابق)

العثمانية في القدس في مقدمة كتابه "يقظة الأمة العربية" نبه إلى الخطر الصهيوني، وتوقع صراع بين المخططات الصهيونية والأمة العربية لإعادة بناء مملكة إسرائيل. وازدادت المعارضة للصهيونية في المؤلفات مثل مؤلف محمد روحي الخالدي وهو أحد السياسيين الفلسطينيين بعنوان: "المسألة الصهيونية" في عام 1911وبين أهداف الصهيونية وأهمها إقامة دولة يهودية في فلسطين.[1] وتكاثرت الصحف الفلسطينية التي حملت لواء الكشف عن النوايا الصهيونية مثل جريدة الكرمل ورئيس تحريرها "نجيب نصار" وأسست عام 1908، وفلسطين ورئيس تحريرها "يوسف العيس" وأسست عام 1912، وكذلك صحيفة المنادي وأسست عام 1912 ورئيس تحريرها "سعيد جار الله" وكانت صحيفة الكرمل الصادرة في حيفا ورئيس تحريرها نجيب نصار، قد حملت لواء المعارضة للصهيونية في فلسطين خلال فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى، وظل نجيب باستمرار يقوم بدور بارز في مقارعة الصهيونية التي اشتكت من همجية هذه الصحف الفلسطينية إلى السلطات العثمانية التي عطلت هذه الصحف عن الصدور و أولها جريدة الكرمل التي تم تعطيلها في 1909/6/25، وفي عام 1913 تم تعطيل صحيفة فلسطين عن الصدور وكان لهذه الصحف الدور البارز والهام بتوعية أهل فلسطين بالأخطار الصهيونية.[2] وهكذا كان دور أصحاب القلم مؤثراً وفاعلاً في توعية الشعب الفلسطيني من الأخطار التي تهدده في استلاب أرضه وإقامة الدولة اليهودية فوقها.

أما رجال السياسة فكان لهم كذلك دور مهما، ففي مرحلة مبكرة أدرك "يوسف ضيا الخالدي" (عضو مبعوثان 1876) أن خطة الصهيونية تهدف إلى إقامة دولة يهودية ولا يمكن أن يتم ذلك دون اصطدامات دموية.[3]

وأثار النواب العرب في جلسة المبعوثان في أيار/ مايو1911 ومنهم شكري العسلي نائب دمشق ونائبا القدس محمد روحى الخالدي وسعيد الحسيني قضية استيلاء الصهيونية على الأرض.

---

(1) Albert Hourani: **Arabic Thought in the Liberal Age 1798 – 1939**, London, Oxford University Press, 1962. P. 279.

(ورد في د. خيرية قاسمية: **الحركة الوطنية الفلسطينية**، ص 45)

(2) د. خيرية قاسمية: **الحركة الوطنية الفلسطينية**، ص 47.

(3) أحمد الشقيرى: **محاضرات عن قضية فلسطين منذ فجر التاريخ حتى الحرب العالمية الأولى**، القاهرة، 1954، ص 34.

وبدأت الجمعيات في الظهور ففي عام 1913 ظهرت جمعية "مكافحة الصهيونية" التي كانت نابلس مقراً لها، وكانت تدعو إلى إقامة المظاهرات وبرقيات الاحتجاج وأن تحفظ حقوق الفلاحين في أراضيهم التي اغتصبتها الحكومة العثمانية.[1] وتكونت جمعية الآستانة لمقاومة التيار الصهيوني من الطلبة العرب. وتشكلت في القاهرة جمعية "مقاومة الصهيونية" أسسها الطلبة الفلسطينيون في الأزهر. وكذلك تشكلت جمعية "فلسطين" في بيروت أسسها طلاب فلسطينيون يدرسون في الجامعة الأمريكية[2] في عام 1913، وجميعها من أجل مقاومة الصهيونية.

المرحلة الثانية: فترة الاحتلال البريطاني (1917-1948)

تعد السنوات الثلاثون من الحكم البريطاني على فلسطين عاملاً بلور الحركة الوطنية الفلسطينية وبلور أهدافها ووسائلها كذلك في مراحل متتابعة. وكانت الجمعيات الإسلامية والمسيحية هي أول مظهر للوعي السياسي المنظم في فلسطين، وانتشرت هذه الجمعيات في كل المدن الفلسطينية، وتعتبر جمعية القدس من أبرز تلك الجمعيات.[3] وبدأت الجمعيات في مواجهة الأخطار التي تهدد فلسطين من تصريح بلفور.

وقد تبلورت المطالب الفلسطينية في تلك المرحلة في مداولات المؤتمر الفلسطيني الأول الذي عقد في القدس في 27 كانون الثاني/ يناير- 9 شباط/ فبراير 1919 وتمحورت حول اعتبار فلسطين هي سوريا الجنوبية وجزء لا يتجزأ منها. وكذلك الاستقلال التام لسوريا بلا حماية ولا وصاية ولا احتلال، أما المطلب الثالث رفض تصريح بلفور، ورفض الهجرة اليهودية إلى فلسطين.[4] وقد بعث المؤتمر الفلسطيني الأول بهذه المطالب في مذكرة منفصلة إلى مؤتمر السلم في فرساي الذي عقد في عام 1919. وعقد المؤتمر السوري العام في دمشق في حزيران/ يونيو 1919 وتمحورت قراراته العشرة

---

(1) **الكرمل** 1913/8/8.

(2) عبد العزيز محمد عوض: **الإدارة العثمانية في ولاية سوريا، 1864–1914**، القاهرة، دار المعارف، 1969، ص 294.

(3) بيان نويهض الحوت: **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917 – 1948**، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1981، ص 80 – 84.

(4) المصدر السابق، ص 95 – 100.

حول استقلال سوريا، وعلى أي مشروع لتقسيم سوريا ورفض تصريح بلفور والاحتجاج على المادة 22 ميثاق عصبة الأمم.[1] وقد حضر المؤتمر 15 عضواً عن فلسطين من أصل 69 عضواً.

ولم تبتعد قرارات المؤتمر العربي الفلسطيني الثاني الذي عقد في دمشق في 27 شباط/ فبراير1920 عن قرارات المؤتمر السوري العام.

وبعد التطورات التي حدثت بعد انعقاد مؤتمر سان ريمو في نيسان/ أبريل 1920 وإعادة رسم الحدود السياسية التي جعلت فلسطين كياناً منفصلاً، عقد المؤتمر الوطني الفلسطيني الثالث في حيفا من 13 إلى 19 كانون الأول/ ديسمبر 1920 وهو المؤتمر الذي بدأت به سلسلة المؤتمرات الدولية التي بلغ عددها سبعة مؤتمرات حتى عام 1928.[2] وتميز هذا المؤتمر بالمطالبة بإقامة حكومة وطنية مسئولة أمام مجلس نيابي، وكان هذا المطلب حل محل مفهوم فلسطين كسوريا الجنوبية.

أما المؤتمر العربي الفلسطيني الرابع فقد عقد في القدس في مارس 1921 في ظل الرئاسة التقليدية للسيد موسى كاظم الحسيني، وقرر المؤتمر إرسال وفد إلى لندن لشرح المطالب الفلسطينية والتي لم تتغير. وبعد أن عاد الوفد الفلسطيني عقد المؤتمر الوطني الخامس في نابلس في 1922/8/22 وكانت قرارات المؤتمر حول رفض الدستور الفلسطيني الجديد الذي وضعته بريطانيا، ومقاطعة الانتخابات للمجلس التشريعي. وقد تبني المؤتمر ميثاقاً وطنياً فلسطينياً تعهد المندوبون بالتمسك به وأقسموا اليمين على ذلك.[3]

وفي الفترة الواقعة بين 16، 20 حزيران/ يونيه 1923 عقد المؤتمر السادس في يافا الذي قرر رفض اتفاقية الملك بن حسين مع بريطانيا وقرر المؤتمر إرسال موسى كاظم الحسيني على رأس وفد إلى لندن ليجري اتصالات مع أعضاء البرلمان البريطاني، وقرر المؤتمر إحالة موضوع الامتناع عن دفع الضرائب إلى اللجنة التنفيذية.

---

(1) أمين سعيد: **الثورة العربية الكبرى**، الجزء الثاني، القاهرة، بدون تاريخ، ص 48.

(2) عبد الرازق محمد أسود: **الموسوعة الفلسطينية**: القسم العام، المجلد 4، المؤتمر العربي الفلسطيني.

(3) عبد الرازق محمد أسود: **الموسوعة الفلسطينية**، المجلد 2، ص 447.

أما المؤتمر العربي الفلسطيني السابع فقد عقد في حزيران/ يونيه 1927 ولقد اشترك في هذا المؤتمر خليط من الشخصيات منها المخلص للقضايا الوطنية ومنها المنافق مع الإنجليز، وكان هذا المؤتمر من أضعف المؤتمرات العربية الفلسطينية من ناحية قوة القرارات وشمولها وانتخب 48 عضواً للجنة التنفيذية لتمثيل جميع الأقضية، وكان يغلب على اللجنة التنفيذية التفكك.

وفي المؤتمر الثامن الذي تأخر عقده خمسة سنوات عن المؤتمر السابع والذي عقد في القدس، كان مؤتمراً مهماً حيث اجتمع عدد من المشاركين في المؤتمر الإسلامي في القدس لتدارس أحوال البلاد وتجديد عهد الحركة الوطنية وقد تم الاتفاق على وضع ميثاق قومي.[1]

عقد المؤتمر العربي الفلسطيني التاسع في 8 أيلول/ سبتمبر 1937 وشارك فيه نحو 450 شخصية معروفه من مصر وسوريا ولبنان وشرق الأردن وفلسطين وأتخذ المؤتمر عدة قرارات أهمها أن فلسطين جزء لا ينفصل عن الوطن العربي، وأن العرب يرفضون تقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية، ويقاومون ذلك بكل قواهم وأن العرب يصرون على إلغاء الانتداب ووعد بلفور ووقف الهجرة وبيع الأراضي فوراً.[2]

فشل محاولات التأثير على السياسة البريطانية:

استخدم قادة الحركة الوطنية الفلسطينية أساليب مختلفة في العمل السياسي وشملت الحملات الإعلامية الصحفية والتصريحات ورفع برقيات الاحتجاج والعرائض إلى الموظفين المحليين، وإلى مؤتمر السلم في باريس، وإلى وزارة المستعمرات، وعصبة الأمم، وإرسال الوفود إلى أوربا للعمل الدعائي أو إلي لندن وكذلك شملت المظاهرات والإضراب العام وإغلاق المتاجر وإغلاق الحدود، والإضراب بمناسبة وعد بلفور، والتمسك بسياسة عدم التعاون مع الحكومة البريطانية، ورفض المقترحات والمشاريع البريطانية المبنية جميعها على سياسات وعد بلفور. وقد أثبتت محاولات التأثير

(1) المرجع السابق، ص 448.

(2) المرجع السابق.

على السياسة البريطانية فقد كانت عديمة الجدوى. ولم يكن للعرب طريق مباشر للوصول إلى عصبة الأمم.[1] ولم تكن لديهم خبرة بكيفية التعامل مع وزارة المستعمرات البريطانية.[2]

وعلى العموم تجسد إدراك الشعب الفلسطيني لأهمية العمل المسلح في القيام بعدة عمليات فدائية شنتها مجموعات مسلحة منذ أواخر 1919 ومطلع 1920 مع تواصل العمل السياسي ما أمكن ذلك. وفي 4 نيسان/ أبريل 1920 تفجرت انتفاضة ضد اليهود الصهيونيون، كانت الأولى في سلسلة الأحداث في الثلاثين سنة التالية.[3] وقد وجدت لجنة التحقيق البريطانية برئاسة بالين (Palin) أن البريطانيين "يواجهون مواطنين محليين يهيمن عليهم السخط الشديد بدافع من شعورهم بالغبن وخيبة الأمل، ويلفهم الذعر بشأن مستقبلهم."[4] وبدأ طابع الانتفاضات والثورات والاحتكاك الدموي يتصاعد باستمرار.

ثورة يافا 1920:

وقد امتدت من 1 إلى 1921/5/15، عندما هاجم الفلسطينيون مستوطنه مستعمرة "بتاح تكفا" بالقرب من يافا وتصدت لهم القوات البريطانية وقتل 48 فلسطينياً وجرح 75، كما قتل 47 يهودياً وجرح 146 آخرون، وعمت الإضرابات عموم فلسطين.[5]

---

(1) Ann Mosely Leach: **Arab Policies in Palestine 1919–1939**, **The Frustration of a National Movement**, Ithaca, New York, Cornell University of Calefornia Press, 1973, P. 56.

(ورد في خيرية قاسمية: **الحركة الوطنية الفلسطينية**، ص 79)

(2) Geoffrey Furlonge: **Palestine is my Country**, **The Story of Musa Alami**, London, John Murray 1969, P. 80.

(ورد في خيرية قاسمية، **الحركة الوطنية الفلسطينية**، ص 79)

(3) **جريدة العاصمة**، دمشق، عدد 116، 12 نيسان/ أبريل 1920.

(4) عبد الوهاب الكيالي: **تاريخ فلسطين الحديث**، ص 149 – 150.

(5) عبد الرازق محمد أسود: **الموسوعة الفلسطينية**، المجلد 2، ص 422 – 423. وكذلك أنظر: طاهر شاش: **المواجهة والسلام في الشرق الأوسط**، ص 24.

ثورة البراق 1929 :

البراق اسم يطلق على مكان ملاصق لجدار الحرم الشريف في القدس، وجرت التقاليد الإسلامية على اعتباره الباب الذي دخل منه النبي صلى الله عليه وسلم في إسراءه من المسجد الحرم إلى المسجد الأقصى راكباً الدابة المعروفة باسم البراق.

عندما استمر الصهاينة في استفزاز المسلمين بإدخالهم حاجز إلى ساحة جدار المبكى ووضعوا طاولة عليها بعض المتعلقات اليهودية، وحائط المبكى هو ملك إسلامي خالص، اعتبر الفلسطينيون أن هذا خرق للحالة الراهنة التي أعلن الجنرال اللنبي الإبقاء عليها عندما دخل إلى القدس. وعندما خرج اليهود بمظاهرات استفزازية في الخامس عشر من أغسطس/ آب 1929، خرج الشباب المسلم في اليوم التالي بمظاهرة أكبر وشهدت القدس في 23 أغسطس/ آب اضطرابات عنيفة أدت إلى مقتل 133 يهودياً وجرح 339، واستشهد من الفلسطينيين 116 وجرح 232 ومعظم القتلى والجرحى كان على يد القوات البريطانية. وتقرر إرسال لجنة شو للتحقيق، وصدر تقرير اللجنة في آذار/ مارس1930، وانتقدت اللجنة السياسية البريطانية في الهجرة وتجريد العرب من أراضيهم وطالبت بوضع تشريع يحمي الفلاحين العرب. وكانت أحداث الأسبوع الأخير من آب/ أغسطس 1929 نقطة تحول في العلاقات البريطانية الفلسطينية، حيث عمت المظاهرات مدن نابلس وعكا وجنين وطولكرم وغزة وكان من نتائجها أن قدم للمحاكمة اكثر من 1000 فلسطيني وصدر الحكم بإعدام 25 فلسطيني ويهودي واحد، وإعدام أول ثلاثة في سجن عكا وهم عطا الزير، ومحمد جمجوم وفؤاد حجازي في يوم الثلاثاء 17 حزيران/ يونية[1] 1930 وأصبحوا من أعلام الأبطال في السير الشعبية الفلسطينية.

كما طبقت الأحكام في قانون العقوبات المشتركة على سكان المدن والقرى التي شاركت في الثورة وفرضت عليها غرامات كبيرة.[2] وكان من نتائج أحداث 1929 ظهور ثورة

(1) الدكتور: عزت طنوس: **الفلسطينيون**، ص 132 – 137. وانظر كذلك: محمد عزة دروزة: **القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها**، ص47 – 48.

(2) عبد الوهاب الكيالي: **تاريخ فلسطين الحديث**، ص 202 – 207.

الكف الأخضر التي عملت في صفد وعكا وقامت ببعض العمليات العسكرية ولكن تم إلقاء القبض على عناصرها في حلول صيف 1930.

انتفاضة عام 1933:

دعت منظمات الشباب الفلسطينية لمظاهرة في يافا بسبب الهجرة الصهيونية وانحياز بريطانيا إلى جانب اليهود، فتجمع اكثر من سبعة آلاف متظاهر مسلح، ووقع صدام مسلح وقتل واحد من أفراد البوليس البريطاني وجرح 25 منهم أما المتظاهرون فقتل منهم 12 شخصاً وجرح 78 وألقى القبض على العشرات من الشباب وعند السماع بهذه المجزرة أعلن الإضراب العام في البلاد، ونشبت الاضطرابات في حيفا ونابلس والقدس وصفد والناصرة وطولكرم وظل الإضراب مستمراً بضعة شهور حتى 1933/11/3، وكانت أحداث عام 1933 ذات طابع معاد للبريطانيين، وقد كشفت النقاب عن وجود تعميم متصاعد لدى الفلسطينيين ضد سياسة الوطن القومي اليهودي.

ثورة الشيخ القسام 1935:

أسس الشيخ عز الدين القسام حركة إسلامية للجهاد في فلسطين، واعتبرت أخطر منظمة سرية وكان معقله في حيفا، وأعلن الشيخ البدء في ثورته في تشرين الثاني/ نوفمبر من عام 1935، واعتبر ذلك نقلة في مسار الحركة الوطنية الفلسطينية، وقد التجأ مع 52 من رجاله إلى أحراش "يعبد" من ضواحي جنين. ودعا الفلسطينيين إلى مهاجمة القوات البريطانية ولكن القوات البريطانية حاصرته ورفض الاستسلام واستشهد، وقد أثار استشهاده الشعب الفلسطيني في طول البلاد وعرضها، وكانت جنازته بمثابة حداد وطني شامل. وكانت ثورته بداية عهد جديد في المقاومة، واعتبرها المؤرخون مقدمة للثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936.[1]

---

(1) أحميد سعيد نوفل: **المدخل إلى القضية الفلسطينية**، ص 189 – 190 وأنظر كذلك: د. عزت طنوس: **الفلسطينيون**، ص 142 – 143 وكذلك أنظر: عجاج نويهض: **رجال من فلسطين**، منشورات فلسطين المحتلة، ط 1، بيروت،1981، ص 107. وكذلك انظر: محمد عزة دروزه: **القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها**، الجزء الأول، ص 120. وكذلك انظر عبد الوهاب الكيالي: **تاريخ فلسطين الحديث**، ص 202 – 207. للمزيد أنظر: الدكتور أحمد طرابين: **فلسطين في عهد الانتداب البريطاني**، ص 993 وما بعدها. وكذلك أنظر: عبد الرزاق محمد أسود: **الموسوعة الفلسطينية**، المجلد 2، ص 427 – 428.

الثورة الفلسطينية الكبرى 1936-1939 :

انطلقت شرارة الثورة في شباط/ فبراير 1936 حيث رفض مقاول يهودي تشغيل أي عامل عربي في بناء ثلاث مدارس في يافا، وفي 15 نيسان/ أبريل قتل يهودي وجرح آخر ورد الصهاينة بقتل اثنين من القرويين في بيارة في يافا واشتد التوتر فقتل 7 من اليهود واثنين من الفلسطينيين في 17 نيسان/ أبريل 1936 خرجت مظاهرة كبرى في يافا في 30 نيسان/ أبريل فتصدى لها البوليس البريطاني وقتل اثنين وجرح 32 من الفلسطينيين، وقتل الفلسطينيون خمسة من الصهاينة وجرحوا 26 وفرض منع التجول في يافا وتل أبيب، كما أعلنت حالة الطوارئ في جميع البلاد، وتشكلت لجنة قومية في نابلس و أعلنت الإضراب العام حتى يتم الاستجابة للمطالب الوطنية المقدمة في تشرين الأول/ أكتوبر 1935 وفي اليوم التالي تشكلت لجنة قومية مماثلة في حيفا ويافا وغزة، ولم يلبث الإضراب أن عم جميع أنحاء فلسطين.

مطالب الحركة الوطنية الفلسطينية :[1]

أولاً: الوقف الفوري للهجرة.

ثانياً: إيقاف نقل ملكية الأراضي العربية إلى اليهود.

ثالثاً: إقامة حكومة ديمقراطية يكون النصيب الأكبر فيها للعرب.

ولقد اجتمع ممثلو الأحزاب الفلسطينية في القدس في 25 نيسان/ أبريل 1936 وشكلوا اللجنة العربية العليا برئاسة مفتي القدس الحاج محمد أمين الحسيني وضمت كل رؤساء الأحزاب الفلسطينية القائمة والزعامات الفلسطينية، وتبنت مطالب الحركة الوطنية الثلاثة[2]، مما جعل اللجنة العربية العليا هي المركز الذي يصدر عنه التوجيه القومي العام وكان ذلك من أقوى عوامل نجاح الإضراب واستمراره، حيث أتخذ الإضراب طابع الشمول، وعم جميع نواحي الحياة التجارية والصناعية

(1) عبد الرازق محمد أسود: **الموسوعة الفلسطينية**، مجلد 2، ص 429.

(2) محمد عزة دروزه: **حول الحركة العربية الحديثة**، الجزء الثالث، المكتبة العصرية، صيدا، 1951، ص 118 – 119.

openkanal.com

والزراعية والتعليمية والتنقل في جميع المدن والقرى ورافقه مظاهرات عارمة، كان أكثرها دموية، واشترك فيها الرجال والنساء والقضاة والمحامون والعلماء والكهنة والأطباء والطلاب والموظفون.[1]

واشتعلت الثورة الفلسطينية، وتواردت الإمدادات العسكرية على فلسطين اعتباراً من 22 أيلول/ سبتمبر وباشرت حملات واسعة ضد الثوار الذين خاضوا معارك طاحنة مع البريطانيين، وتم دعم القوات البريطانية بفرقة عسكرية كاملة، وتعتبر المعارك التي دارت في أواخر سبتمبر النصف الأول من أكتوبر من أعنف المعارك التي دارت في عام 1936.[2] وبلغت القوات البريطانية أكثر من مائة ألف جندي بالإضافة إلى 40.000 رجل من قوات الشرطة النظامية وما يقرب من 10.000 يهودي من العصابات الصهيونية مدرب ومسلح يدعمهم صف ثانٍ يقدر بـ 40.000 يهودي مسلح.[3] وتحول الإضراب منذ مطلع صيف 1936 إلى ثورة علنية مسلحة، وكان المتطوعون العرب يتوافدون إلى فلسطين من شرق الأردن وسوريا ولبنان والعراق. واعتمدت الثورة أساليب متنوعة مثل تدمير الجسور ونسف السكك الحديدية وقطع المواصلات وتدمير أنابيب النفط ومهاجمة الثكنات العسكرية البريطانية، وكذلك ضرب القوافل العسكرية البريطانية في المواقع الجبلية. ورغم لجوء القوات البريطانية إلى الوحشية في إخماد الثورة الفلسطينية لكنها لم تفلح في ذلك.[4]

لجأت الحكومة البريطانية إلى ملوك العرب ليتدخلوا ويقنعوا أهل فلسطين بالكف عن الإضراب والثورة مقابل النظر في المطالب الفلسطينية وحلها حلاً عادلاً. واستجابت القيادة الفلسطينية لنداء الملوك بوقف الثورة والذي صدر بتاريخ 10 تشرين الأول/ أكتوبر 1936.[5] وكعادة بريطانيا في التنصل من العهد، عينت لجنة تحقيق جديدة ملكية، وقامت من جهة أخرى

---

(1) المصدر السابق، ص 117 وما بعدها، وكذلك عبدالوهاب الكيالي: **تاريخ فلسطين الحديث**،ص 312 – 313.

(2) أحمد طرابين: **في خطط الصهيونية والاستعمار، الانتداب البريطاني**، معهد البحوث والدراسات الفلسطينية، القاهرة، 1971، ص 111، ص 126 – 127.

(3) أحمد طرابين: **فلسطين في عهد الانتداب البريطاني**، ص 1158.

(4) Christopher Sykes: **Cross roads to Israel**, London Collins, 1965, P.184.

(ورد في أحمد طرابين: **فلسطين في عهد الانتداب البريطاني**، ص 1043).

(5) محمد عزة دروزه: **القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها**، ص 54 وما بعدها.

بإعطاء تصاريح لأربعة آلاف مهاجر يهودي جديد، وأصدر وزير المستعمرات البريطانية بياناً في 5 تشرين الثاني/ نوفمبر نفى فيه وقف الهجرة، وأن الهجرة ستستمر وفقاً للقانون.[1]

نشر تقرير اللجنة الملكية التي يرأسها اللورد "بيل" في 7 تموز/ يوليو 1937 والتي أوصت بتقسيم فلسطين، وإلغاء الانتداب عليها وأنه في نظر اللجنة لا يمكن إعطاء العرب أو اليهود كل ما يصبون إليه.[2] ورفضت اللجنة العربية العليا قرار التقسيم لسنة 1939 وأيدها الشعب العربي والحكومات العربية في ذلك. وانفجرت الثورة من جديد في خريف عام 1937 وتعززت حتى شملت كل فلسطين واستخدم الثوار حرب العصابات ضد الوجود البريطاني والصهيوني وفي آب/ أغسطس 1938 اشتدت الثورة واتسعت واستولى الثوار على الخليل وبئر السبع واحتل الثوار مدينة القدس القديمة.[3] وأعلنت الحكومة البريطانية في تشرين الأول/ أكتوبر 1938 أن عدد الفرق العسكرية البريطانية في فلسطين وصل إلى 17 فرقة.[4] (بعد أن كانت أربع فرق فقط) وكانت حصيلة عام 1938م 5708 هجوم منها 986 هجوماً على الجيش البريطاني، 651 هجوماً على المستوطنات اليهودية، وأن عدد القتلى من البريطانيين عام 1938 هو 77 قتيلاً و126 جريحاً، وعدد القتلى من اليهود 255قتيلاً و390 جريحاً، وحاكمت المحاكم العسكرية البريطانية 382 فلسطينياً وأصدرت 54 حكماً بالموت، أما السجناء من الفلسطينيين العرب فبلغ عددهم في نفس العام 2463 شخصاً.[5]

---

(1) Palestine, Chief Secretary, **A survey of Palestine**, Vol. 1, Memorandum by the Secretary of State for the Colonies. P. 33.

(ورد في أحمد طرابين: **فلسطين في عهد الانتداب البريطاني**، ص 1044)

(2) **Palestine Royal Commission Report**, 1937, PP. 141-142.

(أحمد طرابين: **فلسطين في عهد الانتداب البريطاني**، ص 1044)

(3) عبد الوهاب الكيالي: **تاريخ فلسطين الحديث**، ص 345.

(4) John Marlowe: **Rebellion in Palestine**, London, Cresset Press, 1946. P. 203.

(ورد في طرابين: **فلسطين في عهد الانتداب البريطاني**، ص 1053).

(5) Palestine, Chief Secretary, **Asurvey of Palestine**, P. 46.

openkandil.com

وفي الأشهر الثمانية الأولي من عام 1939 ظلت الثورة مستعلة ولكن قوتها بدأت تتناقص تدريجياً حتى نشوب الحرب العالمية الثانية. وبحسب المصادر البريطانية فإنه دفع في عام 1939: 3315 مصادقة قدرت الإصابات من البريطانيين 37 قتيلاً و 66جريحاً، ومن اليهود: 94 قتيلاً و159 جريحاً، وقتل 414 عربياً وجرح 373 جريحاً، وحكم بالموت على 55 عربياً وبالسجن على 5779 شخصاً.[1]

وعلى العموم قدر ما تكبده العرب في ثورة 1936 – 1939 بخمسة آلاف شهيد وخمسة عشر ألف جريح من سكان فلسطين الذين لا يتجاوز عددهم في ذلك الوقت عن مليون شخص وبلغ عدد المعتقلين 5600 معتقل فلسطيني.

وكانت هذه الثورة الفلسطينية الكبرى التي امتدت على مدار ثلاث سنوات في وجه المخططات البريطانية والصهيونية، قد أوقفت مشروع التقسيم لعام 1937، وأبرزت هذه الثورة وقوف العرب والمسلمين في كل مكان مع شعب فلسطين كما أبرزت هذه الثورة الوحدة الوطنية الفلسطينية في وجه هذا العدوان.

المقاومة الفلسطينية خلال الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945):

لم يستطيع مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في لندن في السابع من شهر شباط/ فبراير 1939 أن يوفق بين مطالب العرب الفلسطينيين والمطالب الصهيونية حيث كان الصهاينة يطالبون بفتح باب الهجرة الواسعة إلي فلسطين، وأن فلسطين يهودية والحيلولة دون بقاء اليهود أقلية في فلسطين، بينما كانت مطالب وفد عرب فلسطين تتمحور حول الاعتراف التام في الاستقلال وإنهاء تجربة تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين، ووقف الهجرة اليهودية، وإلغاء الانتداب البريطاني على فلسطين وبذلك وفي ظل عدم القدرة على التوفيق بين الجانبين لم يسفر مؤتمر المائدة المستديرة عن نتيجة إيجابية، وفي ختام المؤتمر في 17/ آذار/ مارس 1939 أعلن اليهود الصهاينة

(1) المصدر السابق، ص 48 – 49. وللمزيد أنظر: صبري جريس: **تاريخ الصهيونية، الجزء الثاني (1918–1939)** مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، 1968، ص 325 وما بعدها.

الإضراب، وأضرب كذلك الفلسطينيون وتظاهروا احتجاجا على هذه السياسة البريطانية. ولم تأخذ الحكومة البريطانية بالمطالب الفلسطينية وأصدرت الكتاب الأبيض في 17 أيار/ مايو 1939 والذي كان من أهم أحكامه: الدستور الذي ينص في البند العاشر: "إن الهدف الذي ترمي إليه حكومة جلالته هو أن تشكل خلال عشر سنوات حكومة فلسطينية مستقلة ترتبط مع المملكة المتحدة بمعاهدة."[1] أما الهجرة فقد جاء في الكتاب الأبيض: "إن على حكومة جلالته أن تسمح بزيادة توسيع الوطن القومي اليهودي عن طريق الهجرة إذا كان العرب على استعداد للقبول بتلك الهجرة، ولكن ليس بدون ذلك." ونص على وقف الهجرة بعد خمس سنوات "فلا يسمح لهجرة يهودية أخرى إلا إذا كان عرب فلسطين على استعداد للقبول بها." وأما الأراضي فقد قسمها الكتاب الأبيض إلى مناطق يمنع انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود في قسم ويطلق يدهم في قسم آخر. وتسارع بريطانيا في البند 17 من الكتاب الأبيض إلى تطمين اليهود بأن هذه التدابير مؤقتة، وبأن للمندوب السامي البريطاني في فلسطين حق إعادة النظر أو تعديلها.[2] لقد كانت السياسة البريطانية في فترة الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945) بشأن فلسطين سياسة حذره وموجهه توجيهاً دقيقاً، رغم أن الكتاب الأبيض قد هز العلاقة البريطانية – الصهيونية. وكانت القيادة العربية الفلسطينية في فترة الحرب العالمية الثانية، أقرب إلى المهادنة منها إلى الثورة، رغم المماطلات البريطانية بشأن إنشاء الدولة الفلسطينية.

المرحلة الثالثة: الدور العربي:

لقد تعزز الدور العربي في القضية الفلسطينية في الشهور الأخيرة التي سبقت نهاية الحرب العالمية الثانية، والذي تجسد في مشاورات الوحدة العربية التحضيرية التي عقدت في الإسكندرية في تشرين الأول/ أكتوبر 1944.[3]

---

(1) أحمد طرابين: **فلسطين في عهد الانتداب البريطاني**، ص255 – 264.

(2) أحمد طرابين: **فلسطين في عهد الانتداب البريطاني**، ص 1056.

(3) أحمد طرابين: **الوحدة العربية في تاريخ المشرق المعاصر**، دمشق، 1970، ص 350 وبعدها.

وقد شاركت فلسطين في هذا المؤتمر الذي قرر فيه وزراء الخارجية العرب كما جاء في القرار الجماعي لبروتوكول الإسكندرية في 1944/10/7 أن فلسطين ركن مهم من أركان الأمة العربية. كما تقرر دمج المسألة الفلسطينية في ميثاق الجامعة العربية في 1945/3/22، بموجب ملحق خاص نص على أن استقلال فلسطين أمر لا شك فيه. وقد رأت الأقطار الموقعة على الميثاق أن يتولى مجلس الجامعة العربية أمر اختيار مندوب فلسطين للاشتراك في أعماله.[1]

وبإنشاء الجامعة العربية قوي الاتجاه السائد في أوساط الفلسطينيين من قبل بضرورة الاعتماد على الدول العربية. ومنذ إعلان ميثاق الجامعة العربية أصبحت الجامعة العربية هي الناطقة باسم فلسطين عربياً ودولياً.

كانت فلسطين هي محور أول مؤتمر قمة عربي والذي عقد في أنشاص في 27أيار/ مايو 1946.[2] وأعلنت القمة أنه لا يمكن فصل فلسطين عن الأقطار العربية الأخرى، ووقف الهجرة، والعمل على تحقيق استقلال فلسطين وتشكيل حكومة لها. وأبدوا أملهم بأن لا تتخذ الدولتان "الديمقراطيتان الصديقتان" أي بريطانيا والولايات المتحدة أية تدابير تمس حقوق عرب فلسطين حرصاً على دوام الصداقة وتفادياً لرد فعل يقضي إلى اضطرابات يكون لها الأثر الأسوأ على السلم العام.[3]

كما عقد مجلس الجامعة العربية اجتماعاً فوق العادة في بلودان 8 حزيران/ يونيه 1946 لدراسة الخطة الواجب اتباعها بعد صدور توصيات لجنة التحقيق البريطانية – الأمريكية وانتقد مجلس توصيات اللجنة وطالب بالتفاوض مع الحكومة البريطانية لإنهاء الحالة الراهنة في فلسطين. واتخذ المجلس مقررات سرية في حالة حدوث صدام مثل إلغاء امتيازات الدولتين في الأقطار العربية، وتقديم الشكوى عليهما إلى مجلس الأمن.

---

(1) بيان نويهض الحوت: **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917 – 1948**، وثيقة 47، ص816.

(2) المرجع السابق، ص 817.

(3) خيرية قاسمية: **الحركة الوطنية الفلسطينية**، ص 104.

ولم يكن للعمل العربي أي مردود سوى الوعود من الحكومتين البريطانية والأمريكية التي لا تنفذ، ولم يكن لمؤتمر لندن في دورتيه في أيلول/ سبتمبر وتشرين الأول/ أكتوبر 1946، وكانون الثاني/ يناير 1947 وبحضور وفود الحكومات العربية – أي تقدم نحو حل القضية الفلسطينية، فقد أصر العرب على إنشاء دولة واحدة، وأصر البريطانيون قيام إدارة عربية وإدارة يهودية تتمتعان باستقلال ذاتي.[1] وفي اجتماع اللجنة السياسية في صوفر في 16 أيلول/ سبتمبر 1947 عزمها على مقاومة المقترحات البريطانية برفع القضية الفلسطينية برمتها إلى هيئة الأمم المتحدة، وكانت ترى رفعها فقط إعلان الاستقلال، وأنها في حالة الفشل فأن الجامعة العربية مضطرة إلى تنفيذ القرارات السرية لمؤتمر بلودان بإعادة النظر في علاقاتها الاقتصادية والسياسية مع الحكومتين البريطانية والأمريكية.[2]

وأقرت اللجنة السياسية تشكيل لجنة فنية للتعرف على حاجات فلسطين ووسائل دفاعها وتنسيق المعونة التي ينبغي على الحكومات العربية تقديمها.[3]

كما تقرر تأليف لجنة فنية عسكرية تتولى تهيئة وسائل الدفاع وتدريب الفلسطينيين. وأكد من جديد (مجلس الجامعة) عزمه على تنفيذ مقررات بلودان في حالة تطبيق أي حل يمس حق فلسطين في أن تكون عربية مستقلة.[4]

وفشلت الوفود العربية في هيئة الأمم المتحدة في الدفاع عن مشروع الدولة الواحدة، وسقط اقتراح عربي بنقل القضية إلى محكمة العدل الدولية، ونجح قرار التقسيم وحاز على الأكثرية[5] وفي 1947/1/29 أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار التقسيم رقم 181 ويشتمل على: الدولة اليهودية على الجليل الشرقي ومرج ابن عامر والقسم الأكبر من السهول الساحلية ومنطقة النقب وبئر

---

(1) المرجع السابق، ص 104.

(2) محمد عزة دروزه: **القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها**، ج2 ، ص 87 – 91.

(3) المرجع السابق، ص 102.

(4) شفيق الرشيدات: **فلسطين تاريخاً وعبرة ومصيراً**، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1968، ص 244.

(5) فاضل الجمالي: **ذكريات وعبر عن العدوان الصهيوني وأثره في الواقع العربي**، دار الفكر الجديد، بيروت، 1964، ص 36 – 37.

السبع و460 ألف عربي يقعون ضمن الدولة اليهودية و 530 ألف يهودي، وتبلغ مساحة الدولة اليهودية 14200 كيلومتر مربع من مساحة فلسطين أي على حوالي 56%.

أما الدولة العربية على الجليل الغربي ومناطق نابلس والقدس وغزة والخليل وبها 650 ألف عربي و11 ألف يهودي وعلى مساحة 12000كم^2 أي 44%. أما منطقة القدس الدولية فتشتمل على 100 ألف يهودي و150 ألف عربي وعلى ما تبقى من فلسطين على حوالي1%[1] لقد كان من المتوقع أن العمل المسلح سوف يقع وخاصة بعد اجتماع بلودان عام 1946.

المرحلة الرابعة: حرب 1948.

عندما اتفق القادة العرب في أنشاص على أن قضية فلسطين ليست قضية الفلسطينيين وحدهم وإنما هي قضية العرب جميعاً، ومسئولية المحافظة عليها وعلى عروبتها تقع على عاتق العرب. قرر القادة العرب إنشاء قيادة فلسطينية بإسم الهيئة العربية العليا، وقد إتخذ مجلس الجامعة العربية هذا القرار في الجلسة المنعقدة في بلودان في الفترة من 12 إلى 18 كانون أول 1947.[2] ولقد أعلنت اللجنة السياسية للجامعة العربية في القاهرة في الفترة من 12 إلى 18 كانون أول 1947 القرارات التالية:

1- وقوف الحكومات العربية وشعوبها مع أهل فلسطين.

2- رفض مشروع التقسيم.

3- خوض المعركة من اجل منع التقسيم.

4- التأكيد على مبادئ الأمم المتحدة.

واستناداً إلى هذه القرارات قررت الدول العربية حشد جيوشها من اجل دخول فلسطين وتحقيق استقلالها في 15/ أيار/ مايو 1948، وبدأت بحشد جيوشها استعداداً للحرب، وكان يوم

(1) عبد الرازق محمد أسود: **الموسوعة الفلسطينية**، المجلد الثاني، ص 386.

(2) عبد الرازق محمد أسود: **الموسوعة الفلسطينية**، الجزء الرابع، ص 55.

15 أيار/ مايو 1948 هو اليوم المحدد لرحيل بريطانيا عن فلسطين، كانت الصهيونية قد أكملت احتلالها للأراضي المخصصة حسب قرار التقسيم للدولة اليهودية واحتلت كذلك أجزاء كبيرة من الأرض المخصصة للدولة العربية. وفي صباح هذا اليوم دخلت الجيوش العربية إلى فلسطين.[1] "والحقيقة أن الجيوش العربية التي تدخلت عسكرياً في فلسطين لم تكن مؤهلة لخوض الحرب... واسند إلى الملك عبد الله منصب القائد الأعلى دون إنشاء قيادة موحدة، بل حدد لكل قوة من القوات هدف عسكري دون رسم استراتيجية عامة... وقد أساءت الدول العربية إدارة المعارك عسكرياً وسياسياً على السواء."[2] وتقدر القوات النظامية التابعة للدول العربية التي اشتركت يوم 15 أيار/ مايو 1948 كالتالي:

1- مجموع القوات المصرية 10.000 مقاتل وفي تقديرات أخرى 5000 مقاتل.

2- مجموع القوات العراقية 3000 مقاتل وفي تقديرات أخرى 2000 مقاتل.

3- مجموع القوات الأردنية 4500 مقاتل.

4- مجموع القوات السورية 3000 مقاتل وفي تقديرات أخرى 1800 مقاتل.

5- مجموع القوات اللبنانية 1000 مقاتل وفي تقديرات أخرى 800 مقاتل.

6- مجموع القوات السعودية 500 مقاتل وفي تقديرات أخرى لاشيء.

---

(1) محمد عزة دروزه: **القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها**، الجزء الثاني، ملحق رقم 7 وفيه بيان الحكومة العربية في 15 أيار/ مايو 1948. وللمزيد أنظر: **مذكرات القاوقجي (1936– 1948)**، منظمة التحرير الفلسطينية، دار القدس، بيروت، 1975، ص 141 وما بعدها. وكذلك أنظر: محمد أمين الحسيني: **تصريحات وأحاديث حقائق عن قضية فلسطين**، الهيئة العربية العليا، القاهرة، 1957، ص 68 وما بعدها.

(2) طاهر شاش: **المواجهة والسلام في الشرق الأوسط**، ص 38.

ويصف العميد المتقاعد/ عبد الرازق محمد اسود في الموسوعة الفلسطينية في المجلد الثالث بقولة: "لقد كانت هذه الحرب مهزلة من مهازل التاريخ إذ كان قائد الجيش الأردني إنجليزياً ينفذ سياسة حكومته الإنجليزية المتواطئة مع اليهود..."[1]

وكانت هذه الأعداد من الجيوش العربية التي تقدر بـ 15 ألف مقاتل وفي احسن تقدير وهو الذي ذكرناه هنا 21000 مقاتل، يقف في مواجهتها وهم في حالة دفاع 65 ألف مقاتل يهودي أي ثلاثة أضعاف الجيوش العربية غير ما كان جاهزاً من قوات إسرائيلية احتياطية تصل إلى 60 ألف مقاتل يهودي.

وإزاء زخم الهجمات العربية في الأسابيع الأولي أصبحت القوات اليهودية في وضع حرج للغاية، فلجأ اليهود إلى الخديعة وطالبوا بإيقاف القتال في هدنة لمدة أربعة أسابيع. واستعمل البريطانيون ضغطهم على العرب للقبول بالهدنة فقبلوها، فقدم أمين عام الجامعة العربية عزام باشا بتقديم استقالته، ثم عاد فتراجع عنها بعد أن ألح عليه النقراشي.

وعندما عاد عزام باشا قال: حسناً سوف أقبل لكن الشعب العربي لن يسامحنا على قبول الهدنة،[2] وكانت الهدنة الأولي فرصة لالتقاط اليهود أنفاسهم، وكانت الهدنة إنقاذاً لليهود.

قوات الجهاد المقدس:

أما على الجانب الفلسطيني فقد اندلعت نيران الثورة في فلسطين بعد إعلان قرار التقسيم، فقد أخذت اللجان القومية الفلسطينية تجمع الأموال وتشتري بها السلاح والذخيرة، وكان هناك مدرسة لتخريج الضباط في قطنا، وقامت الهيئة العربية بتشكيل جيش الجهاد المقدس وتعيين عبد القادر الحسيني في منصب القائد العام لقوات لهذه القوات التابعة لها. وقسمت فلسطين إلي خمس

(1) عبد الرازق محمد أسود: **الموسوعة الفلسطينية** المجلد 3، ص 786.

(2) عبد الستار قاسم: **المدخل إلى القضية الفلسطينية**، ص 265 وللمزيد أنظر:

Plan dalet: **the Zionist Master Plan for the conquest of Palestine**, Middle East forum Nov. 1961, reprinted in Palestine, collected Papers, Beirut, Arab cultural club May 15, 1963. PP. 69-77

مناطق عسكرية هي: القدس، المنطقة الغربية، المنطقة الجنوبية، منطقة طولكرم، والمنطقة الشمالية. وكانت قوات الجهاد المقدس تعاني من نقص في التدريب ونقص في السلاح وكذلك نقص شديد في الذخائر.[1]

وقد قاتلت هذه القوات رغم ضآلة ما لديها وخاصة في الفترة الواقعة بين كانون الأول/ يناير 1947 وحتى دخول القوات العربية في 15أيار/ مايو 1948 قتالاً ضارياً اعتمد أسلوب الحرب الخاطفة. وقاتلت في شوارع المدن والأحياء وقيامها بنسف وتدمير الشوارع في القدس، ونسف المقر العام للوكالة اليهودية في 11أذار/ مارس 1948 وخاضت المعارك العنيفة في شوارع يافا وحيفا وتل أبيب وطبرية وصفد.

وتأتي معركة القسطل في طليعة معارك السيطرة على الطرق الرئيسية وهي القرية التي تبعد 5 أميال إلى الغرب من القدس وتؤلف موقعاً إستراتيجياً مهماً واستشهد فيها القائد البطل عبد القادر الحسيني في 8 نيسان/ أبريل 1948. ودخلت عصابتي الارغون وشتيرن في اليوم الثاني وارتكبوا مذبحة دير ياسين التي قتلوا فيها قرابة 250 فلسطينياً نصفهم من النساء والأطفال. فقامت قوات الجهاد المقدس باعتراض قافلة يهودية مسلحة في اليوم التالي على سفح جبل سكوبس شمالي شرقي القدس وقتلت من أفردها 77 شخصاً انتقاماً لضحايا دير ياسين.

ومن أروع المعارك التي خاضتها قوات الجهاد المقدس حين أحكمت الحصار حول الحي اليهودي داخل المدينة القديمة للقدس واحتفظت بالسيطرة عليه لمدة أربعة شهور وقد حاصرت فيه 1700 يهودي. واستطاعت أن تقطع الإمداد عن 100 ألف يهودي في سكان القدس الجديدة. وكانت الموافقة العربية على الهدنة وتم فك الحصار عن اليهود.[2]

---

(1) Edgar O, Balance, **The Arab–Israeli War**, 1948 London, Faber and Faber, 1956, P.84.

(ورد في وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني: **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، ص 254) وللمزيد أنظر كذلك: ناجي علوش: **المقاومة العربية في فلسطين (1917– 1948)** سلسلة كتب فلسطينية رقم 6، مركز الأبحاث، م. ت. ف، بيروت، 1967، ص144.

(2) عارف العارف: **النكبة، نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود: 1947- 1952**، الجزء الأول المكتبة العصرية، بيروت، 1956، ص14 وكذلك أنظر ص 38- 39.

بين الهدنتين أو الأيام العشرة (8 - 18 **تموز/ يوليو** 1948) :

لقد تمت الهدنة الأولى بين 11 حزيران/ يونية و7 تموز/ يوليو 1948 وحين أقر مجلس الأمن الهدنة الثانية في 15 تموز/ يوليو وأصبحت نافذة في 18 تموز/ يوليو 1948 كان الإسرائيليون قد حققوا المكاسب التالية "خلال قتال الأيام العشرة بين الهدنتين استولى الصهاينة من العرب على ثلاثة أضعاف المناطق التي كسبوها خلال قتال الشهر الأول من الحرب كما أن التفكك ازداد سوءاً من جراء فشل الأردن في الدفاع عن اللد والرملة."[1]

اتفاقات الهدنة الدائمة :

قامت إسرائيل بشن هجوم في 15 إلى 22 تشرين الأول/ أكتوبر على الجبهة المصرية في النقب وحاصرت الفلوجة ثم استولت على منطقة الجليل في 28، 31 من الشهر نفسه واستفردت بقوات القاوقجي في الجليل التي سيطرت عليها كاملاً، ثم انتقلت قواتها إلى الجنوب وشنت حرباً شاملة على القوات المصرية، وطالبت مصر بالهدنة. وفي 30 من الشهر نفسه تم التقدم نحو العقبة وتم الاستيلاء عليها وانسحب الجيش الأردني منها وباشر بمفاوضة اليهود على الهدنة.

تولى رالف باتش مهمة الوسيط الدولي ونجح في استصدار قرار من مجلس الأمن بوقف القتال في 22 أكتوبر، وطالب إسرائيل بالانسحاب إلى مواقعها الأصلية، وتمسكت بالنقب، وقبلت الأطراف إجراء مفاوضات في رودس لعقد اتفاقات الهدنة الدائمة بين إسرائيل وكل من مصر والأردن وسوريا ولبنان خلال عام 1949، وتم التوقيع عليها.

وهكذا كرست الهدنة قيام الدولة اليهودية في مساحة اكبر من مساحتها التي أقرها قرار التقسيم فاحتفظت بمساحة 20.932.023 دونم من مساحة فلسطين البالغة 27.000.000 دونم حيث تبقى للعرب 5.755.000 دونم هي مساحة الضفة الغربية وتم إلحاقها بالأردن، ومساحة

(1) George Kirk: **The Middle East**, **1915 – 1950**, London Survey of International Affairs, Issued Under The auspices of the Royal Institute of International Affairs 1954, P. 282.

350.000 دونم مساحة قطاع غزة وبقي تحت الحكم المصري.[1] وتبقي اتفاقات الهدنة نافذة المفعول إلى أن يتحقق وضع تسوية سلمية بين الأطراف. وبعد مضى ما يقرب من نصف قرن لم يتم التوصل إلى حل شامل بسبب رفض إسرائيل المستمر لكل قرارات الشرعية الدولية سواء كان قرار 181 أو قرار 194.

وازداد الصراع تعقيداً بسبب الدعم المستمر للقوى العظمى لإسرائيل وعلى العموم لم تهدأ المقاومة الفلسطينية حتى يومنا هذا.

(1) طاهر شاش: **المواجهة والسلام في الشرق الأوسط**، ص 41 - 42.

obeikandl.com